مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ٢٣٧-٣٠١، (محرم ١٤٤٢ هـ/ أغسطس ٢٠٢٠)

" أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر اليمنية وأثرها الحضاري في مكة المكرمة خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/١٣٨٢- ١٥١٧م) "

د. علي بن علي حسين أحمد
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

ملخص الدراسة : تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على إحدى الأسر اليمنية التي استقرت في مكة المكرمة وجاورت منذ قيام عصر المماليك الجراكسة في مصر، عرفت هذه الأسرة بأسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر، وقد اشتهرت هذه الأسرة كإحدى الأسر التجارية المهمة خلال الفترة المذكورة ، وأنجبت عددا من الأبناء والأحفاد، وأصبح لهم مكانة مرموقة في المجتمع المكي، وكونت علاقات قوية مع السلطة المركزية في مصر المتمثلة في سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة ، والسلطة المحلية في مكة المكرمة المتمثلة في أشراف مكة المكرمة وكبار الأعيان فيها، وكونت علاقات قوية مع فئات المجتمع المختلفة، وكان لها دور حضاري في كثير من المجالات، وقدمت خدمات جليلة لأهالي مكة المكرمة طيلة إقامتها في مكة المكرمة .
الكلمات المفتاحية : بدر الدين حسن الطاهر/ اليمن/ مكة/ المماليك/الجراكسة.

مقدمة

شهدت بلاد الحجاز خلال العصر المملوكي قدوم العديد من الأسر المجاورة التي استقرت فيها، إما للعبادة وزيارة الحرمين الشريفين والمجاورة في أحدهما أو كلاهما معا، وإما لطلب العلم والأخذ عن الشيوخ الذين يترددون إليها في كل عام والأخذ عنهم وطلب الإجازات منهم، أو للتجارة، أو غير ذلك من الأهداف والمقاصد، فلفتت نظري هذه الظاهرة الفريدة التي لم تظهر بصورة بارزة إلا في الحرمين الشريفين، وقد حظيت بعض الأسر المجاورة وخاصة الأسر العلمية منها، ونالت اهتماما ملحوظا من الباحثين في العصر الحديث، وكتبت عنها دراسات علمية منفردة، وخاصة في مكة المكرمة، ولازال الكثير من الأسر المجاورة في مكة المكرمة في منطقة الظل لم تسلط الأضواء عليها، وتحتاج إلى تجلية جهودهم الحضارية التي بذلوها في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فاستقر رأي الباحث على دراسة أسرة يمنية مغمورة جاورت في مكة المكرمة قرابة قرن من الزمان، وهي بحاجة ماسة إلى تسليط الأضواء عليها، وذكر أحوالها وأخلاقها الفاضلة وإبراز ما قامت به من أعمال جليلة في مكة المكرمة في حياتهم ليقتدي بها السلف للخلف، وتكون من الأمور التي تشحذ أهل الهمم العالية وتحثهم على الاقتداء بهم، والسير على منوالهم وخطاهم، وانطلاقا من الأوصاف التي قدمتها المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الأسرة يمكن تقييمها أنها من الأسر المجاورة التي تمتعت بمكانة مرموقة، وكانت من الأسر المؤثرة في مكة المكرمة خلال عصر المماليك الجراكسة

ووفاء لهذه الأسرة وما قدمته إلى مكة المكرمة وسكانها كثيرا من الأعمال الخيرية الحسنة التي خلدت ذكراهم عبر سنين متعددة، لجديرة بالدراسة، وأن يفرد لها دراسة علمية مستقلة تبرز دورها الحضاري وأثرها في المجتمع المكي خلال الفترة

المذكورة، لهذا اخترت عنوانا لها هو: **" أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر اليمنية وأثرها الحضاري في مكة المكرمة خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢- ١٥١٧م)"**، والحديث عن هذه الأسرة سيشمل قدومها واستقرارها في مكة المكرمة والتعرف على مؤسسها وأبنائه وأحفاده، وما قدموه من إنجازات حضارية وأعمال خيرية في مكة المكرمة استفاد منها سكان مكة المكرمة والمجاورين فيها خلال الفترة المذكورة، وعلاقاتهم مع السلطة المركزية في مصر، والسلطة المحلية في مكة المكرمة، وإعطاء صورة متكاملة عنهم وعن علاقاتهم مع بقية أفراد المجتمع المكي قدر المستطاع.

أهمية مسوغات الدراسة: تعد هذه الدراسة محاولة متواضعة في تقديم أسرة يمنية قدمت خدمات جليلة لأهالي مكة المكرمة طيلة قرن من الزمان، واختياري لهذه الأسرة كان وراءه عدة اعتبارات لعل من أبرزها ما يلي:

[١] تأتي أهمية هذه الدراسة من حيث تناولها أن الفترة التي عاصرها بدر الدين حسن بن محمد الطاهر تعد من أخصب الفترات التاريخية في التاريخ المكي.

[٢] الرغبة الملحة في إبراز جهود إحدى الأسر المجاورة في مكة المكرمة التي لم يسلط الضوء عليها من قبل.

[٣] التعريف بهذه الأسرة التي لم تنل حظها من العناية من قبل الباحثين المحدثين بدراسة علمية متعمقة، ومازالت مجهولة لدى كثير منهم، رغم ذكرها في المصادر التاريخية المعاصرة بصفات تليق بمكانتهم الاجتماعية المتميزة خلال فترة الدراسة.

[٤] بيان دورها الحضاري في مكة المكرمة، لعلها تكون نقطة انطلاق لدراسات أخرى مماثلة حول أسرة مغمورة لم تنل حظها من الدراسة، والكشف عن

جهودها في كثير من المجالات الحضارية المتعددة، وما قدمته من أعمال خيرية للمجتمع المكي في تلك الفترة.

[٥] إبراز علاقاتها الحسنة مع السلطة المركزية في مصر والمتمثلة في سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة ، والسلطة المحلية في مكة المكرمة والمتمثلة في أشراف مكة المكرمة وكبار الأعيان فيها، والمكانة المرموقة التي تمتعت بها في تلك الفترة من بين الأسر المجاورة .

[٦] التعرف على نشاطها الاقتصادي، وخاصة في مجال التجارة المحلية والخارجية، وما امتلكته من ثروات طائلة متنوعة من خلال نشاطهم التجاري، و المناصب الإدارية المهمة التي تقلدتها في الدولة .

[٧] تناثر المعلومات عن هذه الأسرة في المصادر التاريخية، سواء كانت مكية أو عامة، وكان الكثير من مؤرخي هذه المصادر معاصرا لهذه الأسرة، وقدم معلومات كانت قريبة من الحدث في ذلك الوقت وأقرب إلى الصحة .

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع خلال الفترة الزمنية والمكانية، وإنما تركزت الدراسات حول الأسر العلمية والحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز عموما، وجاء ذكر هذه الأسرة عرضا ضمن ذلك، ولم تقدم عنها تفصيلات شاملة تفي بالغرض المنشود، وكانت موجزة جدا، وكثير منها ينقل من بعض، ولم يضيفوا شيئا يذكر، ومن أوائل الدراسات التي تناولت هذه الأسرة ما يلي :

دراسة الجابري[١]، أوردت هذه الدراسة معلومات قليلة جدا عن مؤسس هذه الأسرة في صفحة ونصف تقريبا، وذلك عند ذكر رباطه الذي بناه في مكة المكرمة، وأيضا دراسة شافعي[٢]، التي أوردت معلومات قليلة عن مؤسس هذه الأسرة وذلك عند ذكر رباطه الذي بناه في مكة المكرمة، وذلك في حدود صفحتين تقريبا، وكذلك دراسة عبد المجيد[٣]، التي تناولت هذه الأسرة في حدود ثلاث صفحات في مواضع متفرقة، وكذلك دراسة قيسي[٤]، التي تناولت هذه الأسرة في حدود خمس صفحات في مواضع متفرقة من دراستها، ثم جاءت بعد ذلك عدد من الدراسات ونقلت من هذه الدراسات التي ورد ذكرها ولم تضف شيئا يزيد عليها، وذلك بعد مقارنتها وتكاد تكون مكررة منها، وسيأتي ذكرها في قائمة المصادر والمراجع .

---

(١) الجابري،خالد محسن،الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي،جدة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص٤٣٥-٤٣٦ .

(٢) شافعي،حسين عبد العزيز، الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي ، جدة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص١٦٧-١٦٨ .

(٣) عبد المجيد، ليلى أمين، التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، جدة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص٢٦٩، ٤٥٧ ، ٤٩٠-٤٩١ ، ٥٧٧ .

(٤) قيسي، عائشة حسن ، تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة ،مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص ٧٠ ، ١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٠ -١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

والمؤمل في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى أن تضيف معلومات جديدة يرد ذكرها لأول مرة، وسيتضح ذلك من خلال المقارنة بين هذه الدراسة والدراسات السابقة التي ورد ذكرها آنفا .

مصادر الدراسة : استمدت هذه الدراسة معلوماتها الدقيقة من المصادر المكية بدرجة كبيرة جدا، والتي كتبها شهود عيان لهذه الأسرة بشكل أساسي، ورصدوا معلوماتهم عن قرب من هذه الأسرة، وكانت على قدر كبير من الأهمية، ولم تقتصر الدراسة على المصادر المكية بل استمدت معلوماتها أيضا من المصادر العامة أغلب مؤرخيها كانوا معاصرين لهذه الأسرة وقدموا عنها معلومات كانت على قدر كبير من الصحة، وقائمة المعلومات التي قدمتها هذه المصادر سواء كانت مكية أو عامة يمكن اعتبار مصداقيتها وصحتها بنسبة عالية جدا، وأقرب إلى الصحة، وذلك لمعاصرتهم لهذه الأسرة والتصاقهم بها عن قرب، ولم تعدم الدراسة الفائدة من الدراسات الحديثة التي كانت مفتاحا لهذه الدراسة التي انطلق منها الباحث في دراسته الحالية .

التعريف بالأسرة ونسبها :

نسب هذه الأسرة : تنسب هذه الأسرة إلى مدينة صعدة إحدى مدن اليمن المهمة[(١)]، ويرجع نسبهم إلى التاجر الخواجا[(٢)]، بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم بن

---

(١) صعدة:مدينة عامرة ، حاضرة لواء صعدة ،وهي من المدن التاريخية المهمة ، وأحد أسواق العرب القديمة،تقع شمال صنعاء، وتبعد عنها نحو (٢٢٠) كم تقريبا . الحموي،ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان،بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج٣ ،ص٤٠٦؛ الأكوع ، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٤م ، ص١٧٥ .

(٢) الخواجا:لقب من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس وغيرهم ، وهو مصطلح فارسي معناه السيد . القلقشندي ، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين،بيروت:
=

علي بن أحمد الطائي نسبا[١] ، الصعدي مولدا ونشأة ، اليمني ، نزيل مكة المكرمة ، ويعرف بالطاهر ، وهو مؤسس هذه الأسرة التي نسبت إليه في مكة المكرمة ، وينتهي نسبهم إلى حمير بن سبأ بن يشجب [٢] .

ولادته : ولد مؤسس هذه الأسرة بمدينة صعدة باليمن في سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م ، وقيل : في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٣] ، ونشأ وأقام فيها ثلاث عشرة سنة ، ثم سافر مع عمه حسن بن قاسم الصعدي[٤] ، إلى مكة المكرمة ، وعاد إلى بلده

=

دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٦ ، ص١٣؛ البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص١٢٤ .

(١) الطائي:نسبة إلى قبيلة طي من كهلان القحطانية، وهم بنو طي بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، والنسبة إليها طائي. القلقشندي ، أحمد بن علي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ص٢٩٧ .

وقد وردت هذه النسبة وانتساب بدر الدين حسن بن محمد الطاهر إلى قبيلة طي عند ذكر ابنه محمد بن حسن الطاهر . النجم ابن فهد،عمر بن محمد ، الدر الكمين يذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، بيروت ، دار خضر للطباعة والنشر، ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ج١، ص١٣٢؛ السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، بيروت ، دار ابن العماد ، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ج٢ ، ص١٩٧ .

(٢) النجم ابن فهد، الدر الكمين، ج١ ، ص٦٩٤ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ج٣ ، ص١٢٧ .

(٤) لم تورد المصادر المتاحة التي أمكن الإطلاع عليها ترجمة مستقلة له ، وإنما ورد ذكره في سياق ترجمة ابن أخيه بدر الدين الطاهر ، وترجمة ابنه علي بن حسن بن قاسم الطاهر، وذكر أنه كان حيا في أوائل القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٦٩٤ ،ج٢ ، ص١٠٢٢ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣، ص١٢٧ ،ج٥ ، ص٢١٣ .

وأقام فيها ثلاثة أشهر، ثم تردد إلى مكة المكرمة مع عمه للتجارة عدة مرات، وحج عدة حجات [١].

رحلاته من أجل التجارة وتكوين ثروته: سافر الخواجا بدر الدين حسن بن محمد الطاهر إلى عدد من البلدان، وخاض غمار البحار من أجل التجارة أكثر من مرة، وصار مشهورا في التجارة من بين التجار وخاصة في مكة المكرمة، وأثرى من هذا العمل غاية الإثراء، وتحصل على أموال طائلة، وأصبح له عدد من الوكلاء [٢]، في كثير من البلدان، وامتلك كثيرا من العبيد الذين يتاجرون عنه في التجارة البحرية، وكانوا له بمثابة اليد اليمنى له في التجارة، وسارت مراكبه ومتاجره إلى كثير من البلدان [٣].

ولم يقتصر على ذلك بل سافر إلى عدن [٤]، ومناطق متعددة من بلاد الهند، مثل: كاليقوط [١]، التي سافر إليها ودخلها عدة مرات من أجل التجارة [٢]

---

(١) النجم ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٦٩٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٢٧.

(٢) وكلاء: جمع، مفردها وكيل، ووكيل الرجل هو الذي يستكفيه، ويقوم بأموره نيابة عنه، إذا فوضى إليه ذلك. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج١١، ص٧٣٥-٧٣٦؛ عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار السلام، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٤٦.

(٣) النجم ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٦٩٤-٦٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٢٧؛ ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج٣، ص٢٢٨.

(٤) عدن: من مدن اليمن المشهورة منذ أقدم العصور، وأحد أسواق العرب المهمة قبل فجر الإسلام، وتنسب إلى عدن بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي من أهم الموانئ البحرية التي تطل على بحر العرب والمحيط الهندي، ولها شهرة كبيرة في مجال التجارة الدولية. الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٣، =

، وسافر أيضا إلى كش[٣] ، وكابل[٤] ، وهرمز[١] ، وغيرها من البلدان عدة مرات ، وذلك من أجل التجارة والتبادل التجاري مع هذه المراكز التجارية والتنقل في

=

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٩٤ ؛ الشرفي ، علي بن علي حسين ، النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي ، القاهرة ، دار إيتراك ، ط١ ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ص٦١ ، ١٣٢-١٣٤ .

(١) كاليقوط:مدينة تطل على الساحل الغربي للهند ، ومن موانئ الهند القديمة ، ومن أحسن مراسيها ، واستقبلت السفن التجارية من مختلف البلدان ، واكتسبت شهرة عالمية في التجارة الدولية ، وهي قصبة مديرية المليبار ، وتقع في ولاية مدراس ، وتبعد عنها نحو (٨٢٨) كم تقريبا . ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المسمى : برحلة ابن بطوطة ، تحقيق:علي المنتصر الكتاني، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج٢ ، ص٦٤٥ ؛الندوي ، معين الدين،معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ص ٤٠ .

(٢) ابن تغري بردي ، يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، وآخرين ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ج١٦ ، ص ٣٥٣ ؛ النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧ .

(٣) كش:أو كيش ، وهي جزيرة تقع في بحر عمان ، من الموانئ المهمة للتبادل التجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وكانت تأتيها السفن من مختلف البلدان ، وهي جزيرة تقع جنوب ساحل إيران ، يبلغ طولها (١٥) كم ، وعرضها (٧) كم . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٢٢ ؛ المسري ، حسين علي ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي ، بيروت ، دار الحداثة ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٣١٩-٣٢٠ .

(٤) كابل:وهي ولاية كبيرة بأرض الهند ، تحتوي على مدن وقرى عديدة ، وفيها عمائر كبيرة حسنة البنيان وآهلة بالسكان وغالبيتهم مسلمون ، وهي من موانئ الهند المشهورة ، وتقع على الضفة اليمنى من نهر كابل غربي غزنة ، وهي عاصمة أفغانستان حاليا ، وتبعد عن مدينة بيشاور نحو (٣٦٠) كم تقريبا . الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٥٨٩ ؛ الندوي ، معجم الأمكنة ، ص٤٢ .

أسواقها المتعددة لاختيار السلع التجارية المهمة التي تعرض فيها[٢]، وسافر كذلك إلى مصر ودخل عددا من مراكزها التجارية وأسواقها المتعددة، مثل: القاهرة[٣]، والقصير[٤]، من أجل التجارة وجلب السلع التجارية التي كانت تعرض في أسواقها[٥]، ولم تقتصر رحلاته التجارية على ذلك بل دخل أيضا عددا من المركز التجارية المهمة وتنقل في أسواقها المتعددة التي كانت تعرض فيها أنواع

=

(١) هرمز: كانت قديما تسمى هرموز، وتبعد عن الساحل نحو (٢٤) كم، احتلت مكانة كبيرة في التجارة العالمية، وكانت تأتيها السفن من مختلف البلدان، وأصبحت الميناء الرئيسي لمنطقة كرمان، وقصدها التجار من شتى الأقطار. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٢؛ الألوسي، عادل محيي الدين، تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، بغداد، دار الشئون الثقافية والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٧٨.

(٢) النجم ابن فهد،الدر الكمين، ج١، ص٦٩٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٢٧.

(٣) القاهرة:أول من أحدثها قائد الفاطميين جوهر الصقلي في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، وهي قريبة من الفسطاط ويجمعها سور واحد، وقد تبوأت مكانة تجارية، وذلك لتوسط مركزها التجاري، واحتلت مكانة الصدارة في طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب في العصر الإسلامي، وظهرت فيها العديد من المنشآت التجارية. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠١؛ الشرفي، النشاط التجاري في اليمن، ص٣٢٤-٣٤٥.

(٤) القصير:وهي من الموانئ المهمة التي تطل على البحر الأحمر، وكان لها دور بارز في التجارة العالمية في العصور الإسلامية، وأصبح ميناء قوص على البحر الأحمر، وتقع شمالي عيذاب، وتبعد عنها نحو (٨) كم تقريبا، في نهاية وادي الحمامات، شمالي مدينة القصير الحديثة. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٧؛ سالم، عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٦٨.

(٥) النجم ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٦٩٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٢٧.

السلع التجارية من أجل جلبها إلى أسواق الحجاز مثل: سواكن[١]، ودهلك[٢]، من أجل التجارة أيضا، وحقق من رحلاته التجارية مكاسب وفيرة، وذلك لمعرفته بأمور التجارة معرفة قوية بلغ فيها الغاية، والتي اكتسبها من خلال الرحلات التي تنقل فيها بين البلدان[٣]، وطار صيته في الأفاق، وخصوصا في الحجاز، وعظم أمره في مكة المكرمة ، وأصبح كبير التجار فيها، والمرجع لكثير من التجار في أمور التجارة[٤]، وحظي بتقدير كبير من سلاطين المماليك وأشراف مكة المكرمة، وتقلد عددا من المناصب الإدارية المهمة في مكة المكرمة، وجدة[٥]، وخلال إقامته في مكة المكرمة قام

(١) سواكن:جزيرة مشهورة تقع على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر ، وكانت ميناء السودان الرئيسي طيلة العصور الإسلامية حتى مطلع القرن الماضي ، وتبعد عن ميناء توكر نحو (١١٢) كم . الحموي ، معجم البلدان ،ج٣ ، ص٢٧٦ ؛ ضرار ، محمد صالح ، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، الخرطوم ، الدار السودانية للكتب ، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص٢٣ .

(٢) دهلك:من الجزر المشهورة التي تقع في الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وإحدى المحطات التجارية المهمة التي تأتيها السفن التجارية من مختلف البلدان ، وهي شرقي ميناء مصوع وتبعد عنها نحو (٧٠) كم تقريبا . المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ، ط٥ ،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ج٢ ، ص١٩ ؛ محمد ، آمال إبراهيم ، الصراع الدولي حول البحر الأحمر ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص٢٥ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٢٧ ؛ ابن شاهين ، عبد الباسط بن خليل ، نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ج٦ ، ص٢٥٧ .

(٥) جدة:تعد المركز التجاري المهم لإقليم الحجاز بأسره ، والميناء الرئيسي لمكة المكرمة ، ومفتاحها الذي يطل على البحر الأحمر والعالم الخارجي ، وتبعد عن مكة المكرمة نحو (٧٥) كم تقريبا . الحميري ، الروض =

بالعديد من الأعمال الخيرية التي استفاد منها أهل مكة المكرمة بغية الأجر والثواب من الله تعالى، وظل مقيما في مكة المكرمة حتى توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م ، ودفن بالمعلاة[١] ، بعد أن تجاوز ثمانين سنة ، وخلف عددا من الأبناء والبنات[٢] ، وأسس أسرة في مكة المكرمة عرفت بأسرة الطاهر التي نالت مكانة مرموقة من بين الأسر المجاورة فيها خلال فترة الدراسة .

أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر: تعد أسرة بدر الدين حسن الطاهر من الأسر اليمنية التي جاورت في مكة المكرمة، واشتهرت هذه الأسرة بالتجارة، وتبوأت مكانة مرموقة فيها، والمصادر التاريخية المتاحة سواء كانت يمنية أو مكية لم تقدم معلومات عن نشاط هذه الأسرة ومكانتها في بلاد اليمن قبيل استقرارها في مكة المكرمة وأغفلت ذكرها، ويبدو أن والده توفي وهو صغير ولم تورد المصادر معلومات عنه، وكذلك عن والدته وبقية أسرته، وعاش في كنف عمه، ثم بدأ ذكر هذه الأسرة يتردد

=

المعطار ، ص١٥٧ ؛ البلادي ، عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز ، مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ،ج٢ ، ص ١٣٠-١٣١ .

(١) المعلاة:ويقال لها : المعلى ، وهي إحدى مقابر مكة المكرمة التي يدفنون فيها موتاهم حتى الوقت الحاضر ، وهي مقبرة مشهورة تقع إلى يسار المتجه إلى الأبطح من شارع الحجون ، ومحاطة بسور. الفاسي، محمد بن أحمد ، تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، تحقيق : محمود خضير العيساوي ، بغداد ، ديوان الوقف السني ، دائرة البحوث والدراسات ، ط١ ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، ج١، ص٥٧٤ ؛ البلادي ، معجم معالم الحجاز ، ج٨ ، ص٢٠١ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧ ؛ عبد المجيد ، ليلى أمين ، الأسبلة والمطاهر في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، مجلة الدرعية ، الرياض ، العددان (٣٤-٣٥) ، السنة التاسعة ، جمادى الآخرة - رمضان ، ١٤٢٧هـ/ يوليو- أكتوبر ، ٢٠٠٦م ، ص٢٤٣ .

في المصادر التاريخية، وذلك عند ما قدم مؤسس هذه الأسرة مع عمه إلى مكة المكرمة، وكان سنه في ذلك الوقت لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره، حيث قدمها في حدود سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، فحج وغادرها مع عمه، ثم استقر بمكة المكرمة وانقطع فيها، وأصبح نزيلا ومجاورا فيها من سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، وتزوج في مكة المكرمة وكون أسرته التي عرفت في ما بعد بأسرة الطاهر[١].

أما عن بقية أسرته فمن خلال استقراء المصادر التاريخية يتضح أنه تزوج بامرأتين، وأنجب منهما عدة أولاد وبنات، الزوجة الأولى لم تصرح المصادر بذكر اسمها، وهي والدة عبد الرحمن، وعمر، وصرحت المصادر بذكر الزوجة الثانية وهي والدة ابنه علي ومحمد ، وعلي هو أكبر أبنائه، وأنها كانت مستولدة لأبيه ، وهي تركية ، واسمها صالحة[٢]، وكان لهذه الأسرة أثر كبير في الجانب الاقتصادي والاجتماعي في مكة المكرمة، ويبدو أن هذه الأسرة انقرضت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، حيث كان آخر من ذكر من أبناء هذه الأسرة هو عبد الرحمن بن محمد بن حسن الطاهر

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧.

(٢) وهي مستولدة لبدر الدين حسن بن محمد الطاهر ، تزوجها قبل سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، وأنجبت ابنها محمد بمكة المكرمة في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، وتوفيت في الحادي عشر من شوال سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م . النجم ابن فهد ، عمر بن محمد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، عبد الكريم باز ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٩هـ/١٩٨٤-١٩٨٩م ، ج٤، ص٧٨٧ ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ .

(ت٩٣٥هـ/١٥٢٨م)، الذي خلف ولدين هما محمد، وعلي استقرا باليمن، وابنة بقيت في مكة المكرمة[١] .

عناية بدر الدين بتعليم أبنائه : حرص مؤسس هذه الأسرة على تعليم أبنائه ورغبهم على طلب العلم وحضور المجالس العلمية، فسمع بعضهم على علماء مكة المكرمة واستفادوا منهم وتلقوا بعض العلوم الشرعية [٢]، ولم يقتصروا على ذلك بل سمعوا أيضا من العلماء القادمين إليها من خارج الحجاز عند ما قدموا إلى مكة المكرمة وتحصلوا على إجازات منهم[٣]، كما عين والدهم مؤدبا لأبنائه يقوم بتعليمهم والعناية بهم وأغدق عليه الأموال السخية حتى يتعلمون منه مختلف العلوم التي تفيدهم في حياتهم العلمية والعملية، ومن المؤدبين الذين قاموا بتأديب أبناء أسرة بدر الدين الطاهر الفقيه علي بن محمد بن عيسى ابن عطيف العدني(ت٨٨٦هـ/١٤٨١م)، طلب العلم من صغره، واجتهد في تحصيله، وأجاز له عدد من الشيوخ في بلاد اليمن وغيرها، وأذن له في الإفتاء والتدريس، انتقل إلى مكة المكرمة، وتصدى لإقراء الفقه وغيره وأخذ عنه

---

(١) العز ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : صلاح الدين بن خليل إبراهيم ، وآخرين ، القاهرة ، دار القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ، ج٣ ، ص١٤٣٨ ، حاشية المحقق ؛ جار الله ابن فهد ، محمد عبد العزيز ، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، جدة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص٤٣٥ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢، ص١٠٧٣-١٠٧٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ٢١٣-٢١٤ ، ج٦، ص٤ ، الذيل التام ، ج٣ ، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص ١٣٢-١٣٤ ، ٨٠٥ ، ج٢، ص ، ١١٠٨ ، ١٢٧١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٤ ، ص ٧٤ ، ج٥ ، ص٢١٣-٢١٤ ، ج٦ ، ص ٨٠ ، ج١١ ، ص٢٨ ، الذيل التام ، ج٣ ، ص١٩٧-١٩٩.

جماعة[١]، وقام بتأديب أولاد الخواجا بدر الدين حسن بن محمد الطاهر وأخذوا عنه بعض العلوم واستفادوا منه كثيرا[٢].

ومن أبناء بدر الدين حسن بن محمد الطاهر الذين طلبوا العلم من الشيوخ، أبو بكر بن حسن الطاهر(ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، أجاز له عدد من الشيوخ في سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، وذلك باستدعاء من النجم ابن فهد[٣]، له ولأخوته[٤]، ومن أبنائه أيضا عبد الرحمن بن حسن الطاهر(ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م)، طلب العلم في صغره، وأجازه عدد من الشيوخ في سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، وذلك بطلب من النجم ابن فهد، له ولإخوته [٥].

---

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٠٧٣-١٠٧٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص٤ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٠٧٤ .

(٣) هو عمر بن محمد بن فهد القرشي ، اعتنى به والده منذ طفولته وأسمعه على كثير من علماء عصره البارزين من بلاد الشام ومصر واليمن ، وارتحل إلى عدد من المراكز العلمية للأخذ عن شيوخها البارزين وسمع عليهم وأجازوه ، وحدث بكثير من مروياته وبعض مؤلفاته ، وسمع عليه جمع كثير من الطلبة من داخل الحجاز وخارجه ، وألف مصنفات عديدة في التاريخ وغيرها من العلوم ، منها : إتحاف الورى ، والدر الكمين ، ومعجم الشيوخ وغير ذلك ، توفي بمكة المكرمة في شهر رمضان سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م . النجم ابن فهد ، عمر بن محمد ، معجم الشيوخ ، تحقيق : محمد الزاهي ، الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص١٩١-١٩٤ ، الدر الكمين ،ج٢ ، ص١١٣١-١١٤٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦، ص ١٢٦-١٣١ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٢٧١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١١ ، ص٢٨ .

(٥) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص٨٠٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٧٤ .

ومنهم أيضا ابنه عمر بن حسن الطاهر(ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، قرأ القرآن الكريم أو بعضه، وسمع أيضا على عدد من العلماء الذين قدموا إلى مكة، وغيرهم وأجازوه في بعض الكتب، مثل: كتاب التبيان[١]،

للنووي[٢]، والوفا بأخبار المصطفى[٣]، لابن الجوزي[٤]، وأجازه له أيضا عدد من الشيوخ البارزين في سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، وذلك بطلب من النجم ابن فهد له

(١) الكتاب مطبوع، وقد طبع عدة طبعات، منها طبعة طبعت في القاهرة سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

(٢) هو الإمام الحافظ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، أحد الأئمة الأعلام، كان محققا في علمه وفنونه، ومدققا في عمله وشئونه، حافظا لحديث رسول الله ﷺ، عارفا بأنواعه من الصحيح والسقيم، وغريب ألفاظه واستنباط فقهه، وحافظا للمذهب وقواعده وأصوله، له مصنفات كثيرة في الفقه، والحديث، وعلوم القرآن، وغيرها من العلوم، توفي ببلده في شهر رجب سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م. الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن ،طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢، ص٤٧٦-٤٧٧؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص١٥٣-١٥٧.

(٣) طبع الكتاب لأول مرة بتحقيق مصطفى عبد الواحد، في مجلدين، ويقع في(٨٦٣) صفحة، ونشر بمطبعة السعادة في القاهرة، كطبعة أولى في سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، طلب العلم صغيرا، وسمع الحديث، وقرأ القرآن الكريم وتفقه، واشتغل بكثير من فنون العلم، وله مصنفات عديدة في شتى العلوم، أشهرها: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك في التاريخ، وله غير ذلك من المصنفات، توفي في شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج٢٢، ص٩٣-١١٨؛ أبو شامة الدمشقي، عبد الرحمن بن إسماعيل، الذيل على الروضتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١، ص١٠٠-١١٢.

ولأخوته[١]، وأيضا ابنه علي بن حسن الطاهر (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، قرأ القرآن الكريم عند الشهاب الشوائطي[٢]، والنور ابن عطيف، وصلى فيه بالمسجد الحرام على العادة مرة بعد أخرى مع استمرار تلاوته ومحافظته على الجماعة، وكان كثير التلاوة ، وسمع على جماعة من علماء الحديث البارزين وأجازوه بعد سماعه، كما أجاز له جماعة آخرين باستدعاء النجم ابن فهد أيضا[٣] ، وكذلك ابنه محمد بن حسن الطاهر(ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، قرأ القرآن الكريم عند الشهاب الشوائطي، والنور ابن عطيف ، وأجازه عدد من علماء الحديث في عصره بطلب من النجم ابن فهد فأجازوه بذلك[٤].

يتضح مما سبق أن هذه الأسرة رغم شهرتها في العمل بالتجارة، إلا أنها طلبت العلم وسعت إلى تحصيله كطلاب العلم، وأخذوه على عدد من الشيوخ البارزين في عصرهم، وذلك بتشجيع من والدهم الذي رغبهم في طلب العلم، واختار لهم مؤدبين

---

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١١٠٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦، ص٨٠ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن علي بن عمر الشوائطي ، الشهير بالمقرئ ، الإمام العلامة المقرئ المجود ، قرأ القراءات على عدد من الشيوخ فأجازوه وأذنوا له في الإقراء ، قدم مكة المكرمة في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م ، وتردد إلى بلده تعز أكثر من مرة ، ثم جاور بمكة وانقطع بالمسجد الحرام ، وكتب بخطه كثيرا من الكتب ، وأدب الأطفال مدة طويلة ، توفي بمكة المكرمة في شهر ذي القعدة سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٤٨٠-٤٨٣ ، معجم الشيوخ ، ص٦٧-٦٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٢٨-٢٩ .

(٣) السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص ١٩٨-١٩٩، الضوء اللامع ، ج٥ ، ص٢١٣-٢١٤ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٢-١٣٤ ؛ السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص١٩٧-١٩٨ .

يقومون بتعليمهم وتدريسهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم التي نالوا منها قسطا لا بأس فيه .

مشاركة أسرة بدر الدين الطاهر في التجارة : لم تقتصر أسرة بدر الدين الطاهر على التحصيل العلمي فقط ، بل كانت لهم مشاركة فاعلة في التجارة ، وكانت الرحلات التجارية التي قامت بها هذه الأسرة من العوامل المهمة التي أكسبتهم كثيرا من الخبرة والدراية بأمور التجارة ، فقد تنقلوا بين مختلف البلدان ، وتعرفوا على كثير من التجار من شتى الأقطار ، وتبوءوا بعد ذلك مكانة مرموقة عند التجار ، وامتلكوا ثروات طائلة من الدور والعقارات والسفن والعبيد وغير ذلك ، وذلك من خلال عملهم بالتجارة والسفر إلى كثير من البلدان وحققوا منها مكاسب وفيرة ، وممن نال شهرة واسعة من هذه الأسرة ونال مكانة كبيرة في مكة المكرمة ، عمر بن حسن الطاهر (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) ، كانت له مشاركة في التجارة ، وأبرز إخوته في هذا المجال ، ونال مكانة مرموقة بين التجار ، وسافر إلى بلاد الهند واشتهر بالرئاسة والحشمة ، وبلغ درجة رفيعة من المعرفة بالتجارة [(١)] .

وممن كان له ذكر وشهرة من أبناء هذه الأسرة محمد بن حسن الطاهر (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، كان من أثرياء التجار في مكة المكرمة ، وذلك لحرصه في العمل بالتجارة ، حيث سافر إلى بلاد الهند ومصر وغيرها من البلدان ، وسارت مراكبه وعبيده برا وبحرا تحمل السلع التجارية إلى جدة[(٢)] ، وترقى بعد وفاة والده حتى أصبح كبير التجار في جدة ، وامتلك أملاكا كثيرة من الدور والعقارات العديدة في مكة المكرمة

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص ١١٠٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص٨٠ .

(٢) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٣٣٧ .

وجدة، ومنى[١]، وكانت له عدد من المنشآت التجارية في مكة المكرمة وجدة، وصار له مبنى قيسارية[٢]، بجدة، ووكالة[٣]، بمكة المكرمة، مليئة بأصناف المتاجر من شتى الأقطار، وأصبح من أعيان تجار جدة، بل الحجاز كلها، واتصف بصفات ميزته عن غيره من التجار، وجعلته مشهورا بينهم بالغنى وكثرة الأموال، وبالنزاهة وعدم

(١) منى:أحد مشاعر الحج وأقربها إلى مكة المكرمة ، ينزلها الحاج يوم النحر ، وهو العاشر من ذي الحجة من كل عام ، ويقيمون فيها إلى اليوم الثاني أو الثالث عشر ، وفيها الجمرات الثلاث التي يرجمها الحاج ، وفيها أيضا مسجد الخيف ومسجد الكبش ، وغيرها من المساجد ، وهي من أحياء مكة المكرمة . الحموي، معجم البلدان، ج٥ ، ص١٩٨ ؛ البلادي ، معجم معالم الحجاز ، ج ٨ ، ص٢٦٨ .

(٢) القيسارية:مفرد ، وجمعها قياسر ، وهي مصطلح غير عربي ، دخل العربية بالتقادم ، وهي عبارة عن مبنى كبير مربع أو مستطيل الشكل ، يتكون من طابقين أو أكثر ، يتوسطه فناء داخلي فسيح الأرجاء ، يساعد التجار على تنزيل السلع التجارية وتحميلها في وقت قصير ، ويخصص الدور الأول منها حوانيت ومخازن وغير ذلك ، والأدوار العليا منها تخصص مساكن لإقامة التجار والمسافرين من أجل الراحة والنوم . فهمي ، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص٢٩٥-١٩٦ ؛ محمد ، رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص٣٧-٤٠.

(٣) الوكالة:مفرد ، وجمعها وكالات ، وفي المصطلح التجاري هي عبارة عن مخازن تجارية كبرى ، يباع فيها أصناف السلع التجارية ، وكانت مقصورة في الغالب على نزول التجار القادمين من بلاد الشرق الإسلامي ، ويتم فيها عمليات البيع والشراء بالجملة والتجزئة ، وتوزيع ما يرد إليها من الأسواق . جواتياين ، س. د ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق : عطية القوصي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٢٧٢ ؛ محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية ، ص٥٣ .

الطمع، وقدم بعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة، وكان التجار يلجئون إليه كثيرا في حل العديد من المشاكل التي كانت تقع فيما بينهم[١].

وقد أشار العز ابن فهد أن تجارته البحرية تعرضت في بعض السنوات لكثير من المخاطر، من ذلك ما حدث في سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م، حيث أشار في حوادث هذه السنة أن جمال الدين محمد بن حسن الطاهر تعرضت أحد مراكبه التي كانت تخوض البحار للغرق، وكانت محملة بكثير من الناس والأموال، وذلك أثناء قدومها من الطور[٢]، فيما بين ينبع[٣]، وجدة، ولم تحدث أي خسائر في الأرواح، بل فقد الناس كثيرا من الأموال والنحاس والدقيق وغير ذلك[٤].

وامتلك أيضا علي بن حسن الطاهر عددا من العبيد كانوا بمثابة اليد اليمنى لسيدهم في جميع أعماله التجارية، وكانوا مسئولين عن التجارة البحرية وركوب

---

(١) النجم ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص١٣٢-١٣٤؛ السخاوي، الذيل التام، ج٣، ص١٩٧-١٩٨.

(٢) الطور: جبل في شبه جزيرة سيناء، يمتد بين مصر وأيلة، وعليه كلم الله عز وجل موسى عليه السلام، ومنه اشتق اسم المدينة. الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٥.

(٣) ينبع: يطلق اسم ينبع على مدينتين، إحداهما كانت داخلية، وتسمى ينبع النخل، والأخرى كانت ساحلية وتسمى ينبع البحر، وتقع شرقي البحر الأحمر، وفي الناحية الغربية للمدينة المنورة، وتبعد عنها حوالي (٢٤٥) كم تقريبا. السلمي، عرام بن الأصبغ، أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق: محمد صالح شناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٠؛ أكبر، إلهام سراج، بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية، المدينة المنورة، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٦١.

(٤) العز ابن فهد، بلوغ القرى، ج١، ص٣٦٩-٣٧٠.

البحر، ومن عبيده الذين مارسوا التجارة البحرية الناخوذة[١]، مبارك[٢]، فتى الخواجا علي الطاهر[٣]، وكذلك الناخوذة مثقال[٤]، فتى الخواجا علي الطاهر أيضا، وقد حققوا لسيدهم مكاسب وفيرة من عملهم في التجارة البحرية[٥].

وفي شهر شعبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م، تعرض مركب للتاجر ابن الزمن[٦]، للغرق وكان متوجها إلى كاليقوط، وكان فيه أكثر من (٦٠٠)

---

(١) الناخوذة:لفظ مركب من كلمة ناؤ الهندية ، وتعني السفينة ، وكلمة خذا الفارسية ، وتعني مالك السفينة ، أو ربانها ، وقد شاع استعمالها في العصر الإسلامي ، وجمعها نواخذة ، ويطلق على البحار المسئول عن الاتجاهات في السفينة وآخر للشراع في السفن الكبيرة . الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص٤٣٢-٤٣٣ ؛ الرومي ، أحمد البشر ، معجم المصطلحات البحرية في الكويت ، الكويت ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، ط١ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م ، ص١٧٦ .

(٢) هو الناخوذة مبارك فتى النور علي بن حسن الطاهر ،كان يتاجر لسيده في غمار البحار ، ورد ذكره في حوادث سنة ٨٩٧هـ/١٤١١م ، ولم تؤرخ المصادر المتاحة تاريخ وفاته . العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٤٢.

(٣) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٤٢ .

(٤) هو الناخوذة مثقال فتى النور علي بن حسن الطاهر ،كان يتاجر لسيده في غمار البحار ، وقد تعرض للغرق فنجا منه ، ورد ذكره في حوادث سنة ٨٩٧هـ/١٤١١م ، ولم تؤرخ المصادر المتاحة تاريخ وفاته . السخاوي ، الذيل التام ، ج٢، ص ٦٦٨-٦٦٩ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٦٣.

(٥) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٤٢ .

(٦) هو الخواجا محمد بن عمر بن محمد الدمشقي القاهري ، ويعرف بابن الزمن ، نشأ بدمشق واشتغل بالتجارة ، وعينه الأشرف قايتباي مشرفا على عمارة الحرمين الشريفين ، وكان له بعض المآثر الخيرية في الحرمين الشريفين ، والقدس والقاهرة ، توفي بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص٢٦٠-٢٦١ ؛ ابن إياس ، محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، بيروت ، مؤسسة الريان ، ط٢ ، ١٤٢١هـ/٢٠١٠م ، ج٣ ، =

شخص، والكثير من الأموال للتجار، وغرق كثير منهم، ولم ينج منهم في البحر إلا عدد قليل ركبوا سنبوقا[١]، منهم الناخوذة ، مثقال ، فتى النور علي بن حسن الطاهر ووالده وجاريته، وكان معه محفظة خاصة يحفظ فيها المال والنقود والودائع التي أؤتمن عليها[٢]، وكذلك عبد الرحمن بن محمد الطاهر(ت٩٣٥هـ/١٥٢٨م)، عمل في التجارة وتبوأ مكانة كبيرة من بين التجار حتى أصبح كبير التجار في جدة، وكانوا يرجعون إليه في أمور التجارة[٣] ، وكان عبد الرحمن بن محمد الطاهر المذكور سابقا آخر من ذكر من هذه الأسرة التي لها مكانة في المجتمع المكي، ويبدو أن هذه الأسرة بعد وفاته تلاشت، ولم يعد لها ذكر في المصادر التاريخية وخاصة المكية .

علاقة هذه الأسرة بسلاطين المماليك في مصر: حرصت أسرة بدر الدين الطاهر منذ استقرار مؤسسها في مكة المكرمة أن تكون علاقات حسنة بسلاطين وأمراء المماليك وكبار رجال الدولة في مصر ، واتسمت العلاقة فيما بينهم بالاحترام والتقدير، فقد

=

ص٢٩٣ ؛ شافعي ، حسين عبد العزيز ، الخواجا شمس الدين ابن الزمن ودوره الحضاري والعمراني في بلاد الحرمين الشريفين في عهد السلطان قايتباي ، دراسة تاريخية حضارية ، القاهرة ، المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة) ، العدد (٥) ، ٢٠١٠-٢٠١١م ، ص٧٩-٨٢ .

(١) سنبوق:مفرد ، وجمعه سنابيق ، ويطلق بوجه عام على القوارب الصغيرة ، وقديما كانت تطلق على نوع من المراكب القنبارية ، وهو من مراكب البحر الأحمر وخليج عدن . ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٩ ، ٢٨٦ ؛ شهاب ، حسن صالح ، المراكب العربية تاريخها وأنواعها ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، إدارة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) السخاوي ، الذيل التام ، ج٢ ، ص ٦٦٨-٦٦٩ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٦٣.

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٤٢٢ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص١٢٠ ؛ جار الله ابن فهد ، نيل المنى ، ص٤٣٥ .

كانت لمؤسس هذه الأسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر مكانة رفيعة من بين التجار عند سلاطين المماليك في مصر ، ومعظما عند الدولة ، وصار كبير التجار في مكة المكرمة وجدة، ولقب بالخواجا، وشاه بندر التجار[١] .

كما تقلد أيضا عددا من المناصب الإدارية المهمة في مكة المكرمة، وجدة، فولي نظر المسجد الحرام، في أوائل سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م[٢]، وقلدوه أيضا بعض المناصب والوظائف الإدارية المهمة، وتولى كذلك مشد جدة[٣]، في سنة٨٦٢هـ/١٤٥٧م، وكان المسئول الأول عن هذه الوظيفة الإدارية عند سلاطين المماليك في مصر[٤] .

وإسناد سلاطين المماليك بتقليده هذه المناصب المهمة تدل على مكانته الكبيرة لديهم، وتعكس أيضا المكانة الاجتماعية التي تمتع بها في المجتمع المكي حتى تم تكليفه بهذه المهام دون غيره من التجار .

---

(١) شاه بندر التجار: لفظ فارسي مركب ، معناه رئيس التجار وكبيرهم ، وكانوا يرجعون إليه في حل كثير من قضاياهم ، دخل هذا المصطلح العربية في العصر الإسلامي المتأخر ، وأصبح فيما بعد نسبة لبعض العائلات في العالم العربي . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٥ ؛ الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٥٦ ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٢٧ .

(٣) المشد:هو المفتش ، أو الموظف الذي كان له التقوية وما يتبع ذلك من سلطات السيطرة والمراقبة والإشراف والتفتيش والمعاونة والتوجيه والتعمير والاستثمار ، أو هو الموظف الذي يقوم برعاية الأعمال من كل نوع . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٢ ؛ عبد المجيد ، التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة ، ص٣٧٤-٣٩٠ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧ .

وبعد وفاة مؤسس هذه الأسرة حظي أبناؤه من بعده بمنزلة رفيعة لدى سلاطين المماليك بمصر، وكانت العلاقات في مجملها حسنة، وكونوا علاقات قوية معهم ومع أمرائهم وكبار رجال الدولة، وجمعت بينهم علاقات قوية في الغالب تقوم على الود والتقدير، وتمتعوا بمكانة مرموقة عندهم، ومما يؤكد ذلك أن السلطان المملوكي الأشرف قايتباي(٨٧٢- ٩٠١هـ/١٤٦٨- ١٤٩٦م)، أرسل في شهر رمضان سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٢م، خلعتين[١]، لولدي الخواجا بدر الدين حسن الطاهر[٢]، وحظي جمال الدين محمد بن حسن الطاهر بمكانة كبيرة لدى السلطان قايتباي، وكبار رجال الدولة في مصر، ولم يقتصر على ذلك بل أوكل إليه السلطان ببعض الوظائف الإدارية في مكة المكرمة وجدة، وذلك لمكانته في المجتمع المكي، فقام بأدائها على أكمل وجه، وصار مشد جدة بعد وفاة والده، وشاه بندر التجار وكبيرهم فيها[٣]، وكان يرضي السلطان والدولة ويقدم لهم أموالا سخية تفوق الوصف بلغت

(١) خلعة:مفرد، وجمعها خلع ، والخلعة بالكسر ما يخلع على الإنسان ، وقد يقال لها : التشريف ، وهي ثوب الحاكم أو السلطان نفسه يخلعه من فوق جسده ويعطيه لمن أراد ، وهي بمثابة وعد بالأمان ، ورمز للتكريم والتقدير، وفي العصر المملوكي أصبحت تصنع من أجزاء متعددة ، مكونة من قماش الأطلس وبألوان مختلفة ، عليها نقوش حريرية بديعة مطرزة بالذهب وغيره ، وهي في الغالب عبارة عن عباءة ، أو قباء ، أو قلانس ، وأحيانا تتضمن بعض الأسلحة وغيرها .الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص٩٢٢؛ ماير ، ل ، الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتي ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ص ١٠١- ١٠٥ .

(٢) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٨٣ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ ، السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص١٩٧-١٩٨ .

قرابة(١٢٥)ألف دينار[١] ، كما أشار إلى ذلك أحد المصادر المكية[٢] ، وفي سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦ م ، طلب السلطان قايتباي من جمال الدين حسن الطاهر القدوم إلى القاهرة ، وأصدر مرسوما[٣] ، بتعيينه شاه بندر الإسكندرية[٤] ، وأن يعمل تاجرا للسلطان ، وألبسه خلعة سلطانية ، فطلب إعفاءه من هذه الوظيفة وأرضاه بمال سخي ، واعتذر من السلطان فقبل عذره وأعفاه من ذلك[٥] ، وبلغ من حرص سلاطين المماليك بهذه الأسرة عند إصدار المراسيم إلى مكة المكرمة أنهم كانوا يوصون أشراف

---

(١) الدينار:معروف، وجمعه دنانير ، ويساوي درهم وثلاثة أرباع ، وكان يزن (٤,٢٥) جراما . الفيومي ، أحمد بن محمد ، المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط٢ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ١٠٦ ؛ فهمي ، عبد الرحمن ، موسوعة النقود وعلم النميات ، فجر السكة العربية، القاهرة، مطبعة دار الكتب ، ١٣٨هـ/١٩٦٥م ، ص٢٩-٣٠ ، ٥٣ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ .

(٣) المرسوم:مفرد ، وجمعه مراسيم ، وهو الأمر السلطاني ، وأوامر التعيين لبعض طوائف الموظفين في الدولة ، وهي أنواع متعددة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٩ ، ٥٨ ؛ البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٠٧ ؛ زناتي ، أنور محمود ، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية ، عمان ، دار زهران ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م ، ص٣٦١-٣٦٢ .

(٤) الإسكندرية:مدينة تاريخية قديمة ، وكان يطلق عليها اسم الإسكندرية العظمى ، وهي بين مدينتي رشيد شرقا ، ومرسى مطروح غربا ، وتعد ثاني أكبر مدن مصر، ومن أهم الموانئ المصرية التي تطل على البحر المتوسط ، ولها أهمية كبيرة في التجارة العالمية ، وهمزة وصل بين الشرق والغرب ، ومركزا رئيسيا للتجارة العالمية . الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٨٢-١٨٨ ؛ أبو حجر ، آمنة ، موسوعة المدن العربية ، عمان ، دار أسامة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٤٨٤-٤٨٥ ؛ الشرفي ، النشاط التجاري ، ص٣٢٧ .

(٥) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٤٤٥-٤٤٦ ، ٤٦٤ .

مكة المكرمة أن يعاملوهم معاملة حسنة وعدم التعرض لهم بسوء[١]، وكانوا يرسلون لهم خلعا سلطانية في مناسبات متعددة مع كبار الشخصيات من مصر، تعد دليلا على مكانتهم العالية عندهم[٢]، ومن الروابط الحسنة التي جمعت بين هذه الأسرة وسلاطين المماليك في مصر تكليفهم بأن يقوموا ببعض الأعمال الخيرية لبعض سلاطين المماليك في مكة المكرمة، وذلك لثقتهم في هذه الأسرة ومكانتهم في المجتمع المكي، وكان لهم أيضا دور كبير في إقراض بعض السلاطين في تمويل بعض مشاريعهم الخيرية في مكة المكرمة، وكلفوه ببعض المهام التي تخصهم من مشاريع في الحرمين الشريفين[٣] ومن ذلك ما أمر به السلطان المملوكي الأشرف قايتباي، في سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤ م، حيث كلف جمال الدين محمد حسن الطاهر أن يقوم بعمارة عين عرفة، وأن يتكفل بالإنفاق عليها من خزانته الخاصة، وقد كلفت عمارتها (١١٠٠٠) دينار، واقترض المال منه، فقام بدفع المبلغ نيابة عن السلطان[٤]، ولم يقتصر على ذلك

(١) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٥٧٩ .

(٢) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٤٨٣ ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٦٠٣ ، ٦٢٢ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص ٢٧٩ ، ٣٤٧ ، ٣٩٧ ، ٤٥٦ ، ٦٢٨ ، ٦٩٠ ، ٨٠٢ ، غاية المرام ، ج٢ ، ص٥٤٨ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص١٣٣ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٣٥٠ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص١٣٢-١٣٤ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٣٥٠ .

بل قدم للسلطان قايتباي كثيرا من الخدمات، وأسهم إسهاما فاعلا في تنمية اقتصاد الدولة ومواردها وضخ عليها أموالا طائلة حتى يرضى عنه السلطان[١].

كما حظي ابنه عبد الرحمن بن محمد الطاهر بمكانة كبيرة لدى السلطان قايتباي، وكبار رجال الدولة في مصر، ولم يقتصر على ذلك بل أوكل إليه بعض الوظائف الإدارية في مكة المكرمة وجدة، وذلك لمكانته في المجتمع المكي، فقام بأدائها على أكمل وجه ، فتقلد وظيفة مشد جدة بعد وفاة والده، وشاه بندر التجار وكبيرهم فيها[٢]، وكان يرضي سلاطين المماليك والدولة ويقدم لها أموالا سخية من باب التقرب إليهم[٣]، وبالمقابل كانوا يرسلون له خلعا سلطانية في مناسبات متعددة تأتي مع كبار الشخصيات القادمة من مصر إلى مكة المكرمة في كل عام، تعد دليلا على مكانته العالية عندهم من بين التجار[٤] ، وأسهمت هذه الأسرة إسهاما فاعلا في تنمية اقتصاد الدولة ومواردها وضخت في خزينة الدولة أموالا طائلة تقدم لها بين فترة وأخرى من باب التقرب إليها وإرضاء لسلاطينها[٥].

---

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٣٥٠ ، ٤٦٤ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٨٣٦ .

(٤) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٨٣٦ ، ١٠٤٢ ، ١٠٨٨ ، ١٠٠٨ ، ١٠٩٦ ، ١١٦١ ، غاية المرام ، ج٣ ، ص ٧٣-٧٤ ؛ جار الله ابن فهد ، نيل المنى ، ص٤٣٥ .

(٥) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٥٩١ ، الدر الكمين ، ج١، ص١٣٣ ؛ السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص ١٩٩ ، الضوء اللامع ،ج٥ ، ص ٢١٣ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٣٥٠ ، ٨٣٦ .

علاقة أسرة بدر الدين الطاهر بأشراف مكة المكرمة ومشاركاتهم في استقبال الأعيان : لم تقتصر أسرة بدر الدين على علاقاتهم مع سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة في مصر، بل كونوا أيضا علاقات واسعة مع أشراف مكة المكرمة ، وكانت علاقاتهم معهم في غالبها علاقات طيبة وحسنة، وفيها كثير من الود والتقدير والاحترام المتبادل فيما بين الطرفين[١] ، ووثقوا علاقاتهم أيضا بالعلماء من أبناء مكة المكرمة والمقيمين فيها، وشريحة واسعة من أهلها والمجاورين فيها، وتقربوا منهم بالأقوال والأفعال الحسنة، وتعاملوا مع الجميع بصورة راقية[٢] ، وكونوا أيضا علاقات قوية مع كثير من الأعيان من خارج مكة المكرمة، وحظيت هذه الأسرة بمنزلة رفيعة لدى بعض حكام المسلمين، وذلك لمكانتهم وسمعتهم الحسنة، التي أكسبتهم ثقة حكام البلاد التي رحلوا إليها، وكلفوهم بالقيام ببعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة والإشراف عليها ، فقاموا بهذه المهمة على أكمل وجه[٣] .

وإن أول علاقة بين أشراف مكة المكرمة وهذه الأسرة بدأت بصورة واضحة بعد وفاة مؤسس هذه الأسرة، حيث كون أبناؤه من بعده علاقات قوية مع أشراف مكة المكرمة، وتبوءوا مكانة مرموقة عندهم ، وظهرت هذه المكانة بصورة بارزة من خلال

---

(١) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق : نجوى مصطفى كامل ، لبيبة إبراهيم مصطفى ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ؛ ابن شاهين ، نيل الأمل ، ج٥ ، ص١٩٧ .

(٢) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ الدر الكمين ، ج ١ ، ص ٢١٤-٢١٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٩٠ ؛ ابن شاهين ، الروض الباسم ، ج١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٤٥٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص ٨٠ .

حضورهم مع أشراف مكة المكرمة وأعيانها من قضاة وعلماء قراءة المراسيم السلطانية التي تصل من مصر عند الحطيم[١]، في المسجد الحرام، وذلك لتولي بعض الأعيان والقضاة بعض الوظائف والمناصب الدينية المهمة، وكانت هذه المراسيم تأتي في كل عام مع موسم الحج غالبا، وأحيانا أخرى تأتي في بقية شهور السنة حسب الحاجة إليها، وتقدم لهم المراسيم والخلع المتعددة بهذه المناسبة، وتحصلوا أيضا على الخلع السلطانية من قبل سلاطين المماليك في مناسبات كثيرة، وشاركوهم أيضا في استقبال الأعيان من كبار رجالات الدولة وموظفيها البارزين الذين يأتون من مصر إلى مكة المكرمة مع أعيان المجتمع المكي في كل عام، وذلك لكونهم طبقة اجتماعية لها مكانتها في مكة المكرمة، فكانوا يخرجون إلى لقائهم في حفل مهيب حتى يوصلوهم إلى مقر إقامتهم في مكة المكرمة ، ويحضرون أيضا قراءة مراسيم تعيين الأشراف وأصحاب الوظائف المهمة في الدولة، وكانت هذه المراسيم تأتي في كل عام مع موسم الحج غالبا، وأحيانا أخرى تأتي في بقية شهور السنة حسب الحاجة إليها، وتقدم لهم المراسيم والخلع المتعددة بهذه المناسبة، ومن المشاركات التي شاركت فيها هذه الأسرة مع أشراف مكة المكرمة ما حدث في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، حيث وصل نائب[٢] جدة وناظرها[١]، أبو الفتح

(١) الحطيم:يقع ما بين الركن الأسود إلى الباب والمقام ، وسمي بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيه الدعاء ، ومن الحطيم يبدأ الطواف وينتهي ، وفيه تصلى ركعتي الطواف ، وفيه الملتزم وعليه يفتح باب الكعبة . الأزرقي ، محمد بن عبد الله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق:رشدي الصالح ملحس ، مكة المكرمة ، دار الثقافة ، ط٨ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ،ج٢ ، ص٢٣ ؛ البلادي ، معجم معالم الحجاز ،ج٣ ، ص ٢٨.

(٢) النائب:هو الكافل الذي يحكم في ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير ، وكل نائب يعرف ما يختص نيابته ، ويكاتبه النواب التابعون له ، وله السلطة في استخدام الجند من غير مشورة =

المنوفي[٢] ، فاستقبله أمير مكة المكرمة محمد بن بركات[٣] ، وجمع من أعيانها ، منهم جمال الدين محمد بن حسن الطاهر ، وقرئت عدة مراسيم ، وألبس عدد منهم خلع سلطانية ، منها خلعة لجمال الدين محمد بن حسن الطاهر الذي ألبس خلعة بهذه المناسبة[٤] .

=

السلطان ، ويتولى تعيين أرباب الوظائف وغيرها . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٦ ، ج ٥ ، ٤٥٣-٤٥٤ ؛ البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .

(١) الناظر:هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ، ويرفع حسابها لينظر فيه ويتأمله ، فيمضي ما يمضي ، ويرد ما يرد ، وهذا المصطلح مأخوذ إما من النظر ، أو من رأي العين ، لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر ، وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر ، لأنه يفكر في المصلحة ، وقد تعدد النظار باختلاف ما يضاف إليهم من مهام . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٣٧ ؛ الباشا ، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٣٨٦هـ/١٩٩٦م ، ج٣ ، ص ١١٧٧-١١٧٩ ؛ البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ٣٤١ .

(٢) هو أبو الفتح محمد بن محمد المنوفي ، تقلد عددا من المناصب ، وباشر التوقيع عن جانبك نائب جدة ، بعد أن عمل شاهدا ، كما باشر نظر الأوقاف ، فلما تسلطن قايتباي ولاه نظر البيمارستان ، وعمل شادا بجدة ، ثم قرر في نيابة جدة عوضا عن شاهين الجمالي ، لم تذكر المصادر المتاحة تاريخ وفاته ، ويبدو أنه توفي بعد ٩٠٠هـ/١٤٩٤م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص ٣٥-٣٦ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ ، ص١٠٠ .

(٣) هو محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني ، ولد سنة٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، واتصف بالأدب والتواضع والعقل والفهم ، وكان من أشهر أمراء مكة المكرمة الذين تولوا إمارتها ، ولي إمارتها في شهر شعبان سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م ، وبقي في الإمارة حتى وفاته في سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٠٣-١٢١ ؛ العز ابن فهد ، عمر بن عبد العزيز ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج٢ ، ص٥٠٦-٦٣٣ .

(٤) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٥٩٠-٥٩٢ .

وفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وصل إلى مكة المكرمة نائب جدة قراجا عتيق جاني بك الجداوي[١]، وطاف بالبيت وسعى ثم عاد في ليلته إلى الزاهر[٢]، وفي صبيحة تلك الليلة خرج في لقائه الشريف محمد بن بركات وجمع من الأعيان لاستقباله، ودخلوا جميعا المسجد الحرام، وجلسوا بالحطيم، وقرئت عدة مراسيم ، وأعطى الجميع خلعة ومرسوما، منهم جمال الدين محمد بن حسن الطاهر، كان تاريخه في الرابع من شهر شوال من السنة المذكورة، ومضمون المراسيم كان واحدا[٣].

وفي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وصل إلى مكة المكرمة نائب جدة قراجا عتيق جاني بك الجداوي، وطاف بالبيت ثم سعى وعاد في ليلته إلى الزاهر، وفي صبيحة تلك الليلة خرج في لقائه الشريف محمد بن بركات وجمع من الأعيان لاستقباله، ودخلوا جميعا المسجد الحرام ، وجلسوا بالحطيم، وقرئت عدة مراسيم، وأعطى الجميع خلعة ومرسوما، منهم جمال الدين محمد بن حسن الطاهر، كان تاريخه في التاسع عشر من شهر شوال من السنة المذكورة[٤].

---

(١) هو قراجا ، عتيق الدوادار الكبير جانبك الجداوي ، باشر نيابة جدة عن أستاذه جانبك الظاهري ، في سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م ، ثم استقل بها ، وكان ظالما مستبدا بالتجار وغيرهم ، توفي سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص ١١٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص ٢١٥ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ٢١٧ .

(٢) الزاهر:حي من أحياء مكة المكرمة ، وواد على طريق التنعيم ،وهو موضع على جانبي الطريق ، وكان ممرا لطريق الحجاج ، ويبعد عن مكة نحو (٣) كم تقريبا ، وبه مستشفى الملك عبد العزيز ، وفيه عمارات كبيرة . الحموي، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٣٧-٢٣٨ ؛ البلادي ، عاتق بن غيث ، أودية مكة المكرمة ، مكة المكرمة ، دار مكة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص١٩ .

(٣) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٦٠٣-٦٠٤ .

(٤) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٦٢٢.

وفي سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وصل إلى مكة المكرمة نائب جدة أبو الفتح المنوفي، وطاف وسعى وعاد في ليلته إلى الزاهر، وفي صبيحة تلك الليلة خرج في لقائه الشريف محمد بن بركات وجمع من الأعيان لاستقباله، ودخلوا جميعا المسجد الحرام ، وجلسوا بالحطيم، وقرئت عدة مراسيم، وأعطى الجميع خلعة ومرسوما، منهم جمال الدين محمد بن حسن الطاهر كان تاريخه في الثامن عشر من شهر شوال من السنة المذكورة [(١)] .

وفي سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، حيث حضر جمال الدين محمد بن حسن الطاهر وخلع عليه خلعة سلطانية [(٢)] .

ومن المشاركات التي شاركت فيها هذه الأسرة في استقبال كبار الشخصيات مع أمراء مكة المكرمة ، ما حدث في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وذلك عندما وصل نائب جدة محمد بن عبد الرحمن الصيرفي[(٣)] ، فاستقبله أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن بركات ، واجتمع به عند الحطيم ، وحضر هذا الاستقبال جمع كبير من أعيان مكة المكرمة من العلماء والقضاة وكبار رجال الدولة، وكان منهم الخواجا محمد بن حسن

(١) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٦٣٦ .

(٢) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١، ص١٨٢.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد الصيرفي ، كان صيرفيا بجدة وناظرا بها ، ثم استقل بالصرف حين نظر شاهين الجمالي ، وترقى وتجمل مع الناس ، وتكرر إلزام السلطان له بالاستقلال بجدة وهو يستعفي بالمال لكثرة ما يقرر عليه ، ثم قبلها على كره في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م ، ولم يدم طويلا حيث توفي في جمادى الآخرة في السنة المذكورة . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٤٣-٤٤ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ ، ص١٩٩-٢٠٣ .

الطاهر، وقرئت بعض المراسيم التي تضمن بعضها التوصية على نائب جدة المذكور ومساعدته في إنجاز مهمته التي كلف بها [١].

وفي سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م، قدم أمير المحمل[٢]، المصري جان بلاط[٣]، وقرئت بعض المراسيم، وخلع على جمال الدين محمد بن حسن الطاهر تعبيرا عن العلاقات الودية فيما بينهما، وألبسه خلعة سلطانية[٤].

وفي سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م، قدم نائب جدة إلى مكة المكرمة، وقدم خلعة سلطانية للخواجا عبد الرحمن بن محمد حسن الطاهر وألبسه إياها أمام جمع من الأعيان والقضاة في مكة المكرمة تعبيرا عن تقديره ومودته له [٥].

ومن المناسبات التي شاركت فيها أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر ما حدث في سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، عند ما وصل نائب جدة، إلى مكة المكرمة، وكانت

---

(١) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١، ص٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) أمير المحمل:وهو اسم لوظيفة كان يهتم صاحبها بشئون الحجاج وتأمين السلامة لهم ، وكان يتولاها أمير مائة مقدم ألف ، وأحيانا يكون الأمير بصحبة المحمل فيكون أمير الحاج بركب المحمل ، وإذا صحب الركب الأول يكون أمير الحاج بالركب الأول . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص٧٤-٧٥ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية ، ج١ ، ص٢٠٢-٢٠٥ .

(٣) جان بلاط الأشرفي قايتباي ، أعتقه الأشرف قايتباي وجعله خاصكيا ، ثم دوادارا صغيرا ، وترقى حتى قرر في ربيع الأول سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ، في إمرة الحج بركب المحمل ، ثم تقلد بعد ذلك عدة مناصب ، كان آخرها توليه السلطنة التي مكث فيها ستة أشهر ونصف ثم قبض عليه مخلوعا وقتل مخنوقا سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٦٢-٦٣ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣ ، ص٢٤٨ ، ٣٦٢-٣٦٣ .

(٤) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٥٤٠ .

(٥) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٨٣٦ .

إقامته في الزاهر، فخرج في استقباله أمير مكة المكرمة وجمع من القضاة والأعيان للعرضة[١]، وكان من الحضور في هذا الاستقبال عبد الرحمن بن محمد الطاهر، وتحصل الجميع منهم على خلع قدمها لهم بهذه المناسبة [٢].

ولم تقتصر علاقة هذه الأسرة بالمنزلة المتميزة عند سلاطين المماليك وأشراف مكة المكرمة بل حظيت أيضا بمنزلة مرموقة لدى بعض حكام المسلمين، وذلك لمكانتهم وسمعتهم الحسنة التي أكسبتهم ثقة حكام البلاد التي رحلوا إليها، حيث كلفوا بعضهم القيام ببعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة حتى يستفيدوا منها، ومما يؤكد ذلك أن السلطان غياث الدين[٣]، صاحب كنباية[١]، أوكل إلى عمر بن حسن الطاهر أن يقوم

---

(١) العرضة:ويقصد بها في المصطلح التاريخي الاحتفال العام في مناسبة من المناسبات سواء كانت اجتماعية، أو رسمية، أو خاصة، تكون بطريقة منظمة، يشارك فيها جنود الشريف أو جنود الدولة أو كلاهما معا، يكون الغرض منها إظهار الفرح والسرور، وإظهار القوة والفتوة وإجادة اللعب بالأسلحة، وتحمل أيضا دلالة كثرة أتباع الشريف. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ١٦٧؛ مكاوي، حسام بن عبد العزيز، المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة من خلال بعض الكتب والوثائق المكية من القرن التاسع الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص ٢٢٩-٢٣٢.

(٢) العز ابن فهد، بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٩٦.

(٣) هو السلطان غياث الدين محمد شاه بن أحمد شاه بن محمد شاه، بن مظفر شاه، صاحب كنباية، رباه ملك التجار محمود بن محمد قاوان، وكان سنه لم يتجاوز السابعة، وساس له الأمور وقام بأمور المملكة وثبت قواعدها، وتوسعت مملكته، ولما كبر السلطان واشتد عوده، اشتغل باللهو واستبد بالأمور، ففتك بالذي رباه وقتله صبرا في شهر صفر سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، كانت له بعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة منها مدرسته المذكورة، قتل في شهر صفر سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م. النجم ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٤٣٢-٤٣٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٦٩، ١٤٤-١٤٥.

نيابة عنه ببناء مدرسة في مكة المكرمة، وذلك في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م، وكلفه بالإشراف على هذا العمل، فبدأ بتنفيذ هذه المهمة في تلك السنة حتى انتهى من إنجاز هذا العمل في السنة التي تليها، وجعل فيها قاعة وخلاوي[٢]، سفلية وعلوية، وطبقة ثالثة كانت للفقراء، وأيضا مسكنين علويين لشيخ الصوفية[٣]، وللناظر، وأنشأ فيها صهريجا[٤]، لتجميع الماء فيه من سطح المسجد الحرام عند نزول الأمطار ، فقام بهذه المهمة على أكمل وجه حتى تم الانتهاء منها[١].

=

(١) كنباية:مدينة كبيرة تقع على الساحل الغربي للهند ، وتعد من مدن كجرات المشهور ، وأحد موانئها المهمة ، اشتهرت بنشاطها الزراعي والتجاري والصناعي ، وتكثر فيها الأسواق التجارية التي ملئت بأصناف السلع التجارية ، ويقصدها التجار من مختلف الأقطار ، وهي مملكة قائمة بذاتها ، وغالبية أهلها مسلمون . الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٩٦ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ج٢ ، ص٦٢٩-٦٣٠ ؛ الشرقي ، النشاط التجاري ، ص٣٦٥ .

(٢) خلاوي:جمع ، مفردها خلوة ، وهي لفظ عربي ، معناه الاستراحة ، وفي اصطلاح الصوفية ، المكان الذي يختلي فيه أتباع الطرق الصوفية للتعبد والمناجاة مع الحق ، والقيام بالرياضة الروحية المعروفة عندهم .الخطيب ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص١٦٦ .

(٣) شيخ الصوفية:يطلق هذا اللقب على الذي يتولى الإشراف على رجال الصوفية ، ويقوم بتربيهم ، ويكتب إليه في صدر المكاتبات . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٨، ص١٧٢ ، ١٧٥ ،١٨٦ ؛ البقلي ،التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٢١٠ .

(٤) صهريج:مفرد ، وجمعه صهاريج ، وهو فارسي معرب من كلمة صهري ، وقد أخذت هذه التسمية بسبب طلائها بمادة الصاروج التي تمتاز بأنها مادة عازلة للماء عن الجدران ، وقد شاع استخدام اسم المصنع ، أو الماجل على الحوض ، وسميت خزانات المياه التي في باطن الأرض باسم الصهاريج ، وهو عبارة عن كتلة معمارية ، أو حوض كبير يستعمل لخزن المياه العذبة في باطن الأرض . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٤٧٣ ؛ نوار ، سامي محمد ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المصادر اللغوية ،

=

يتضح من خلال ما سبق أن أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر احتلت مكانة مرموقة بين فئات المجتمع المكي في ذلك الوقت، وكانت حاضرة دائما مع أعيان مكة المكرمة سواء كانوا من الأشراف أو القضاة أو غيرهم من كبار الأعيان لاستقبال كبار المسئولين وموظفي الدولة الذين يأتون إلى مكة المكرمة من مصر في كل سنة، وهذه المشاركات التي كانوا يقومون بها متعددة سواء، عند قراءة المراسيم السلطانية الصادرة من السلطة المركزية في مصر التي عادة ما يحضرها إلا كبار الشخصيات في مكة المكرمة، ويحصلون في هذه المناسبة غالبا على خلع سلطانية في مناسبات متعددة، وأن هذه الخلع التي كان يحصلون تعد دليلا على مكانتهم الرفيعة في المجتمع المكي من بين أعيان المجتمع خلال هذه الفترة، بل تعدت سمعتهم إلى بعض ملوك الهند، وتمتعوا عندهم بمكانة مرموقة، وأوكلوا إليهم بعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة حتى يستفيد منها السكان والمجاورون على حد سواء .

مصاهرات أسرة بدر الدين الطاهر: تعد المصاهرة صورة من صور الاندماج والتمازج بين فئات المجتمع وتشابكه، وكان لأسرة بدر الدين الطاهر مكانة في المجتمع المكي مما جعل بعض الأسر تتقرب منها بالمصاهرة، وقد تنوعت مصاهرات هذه الأسرة مع كثير من الأسر في مكة المكرمة، وكانت متعددة مع فئات المجتمع المكي، سواء كانوا تجارا أو قضاة، أو غير ذلك من الشرائح، وقد احتلت مصاهرات التجار النسبة الأعلى مع هذه الأسرة، ويعود السبب في ذلك الارتباط الشديد معهم في الحياة الاجتماعية

=

الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص١٠٩-١١٠ ؛ عبد المجيد ، الأسبلة والمطاهر في مكة المكرمة ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(١) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٣٣ .

والاقتصادية، وكونهم أصحاب مهنة واحدة، فقد حرصوا على تقوية الأواصر فيما بينهم في اختيار زوجة تكون من أقربائهم، فقد تزوج عبد الرحمن بن محمد حسن الطاهر من ابنة عم أبيه ستيت[١]، بنت علي بن حسن الطاهر، تزوجها في أول سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م[٢]، وكذلك آمنة بنت الخواجا بدر الدين حسن بن محمد الطاهر[٣]، تزوجت الخواجا جمال الدين محمد بن مهدي الطائي[٤]، الذي كانت تربطه قرابة نسب من هذه الأسرة ، فضلا عن كونه أحد التجار المشهورين في مكة المكرمة[٥].

كما حرصت هذه الأسرة على المصاهرة مع أصحاب المهنة ذاتها من غير أقاربهم، كما حدث في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، حيث تم عقد زواج محمد بن يوسف القاري[٦]، التاجر الدمشقي على زينب بنت الخواجا جمال الدين محمد بن حسن

---

(١) توفيت في شهر شعبان سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ، وذلك بعد أن أنجبت بنتا ميتة ، وصلي عليها بالمسجد الحرام ، ودفنت بالمعلاة بتربة أهلها . العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٦٧٣ .

(٢) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٦٠٥.

(٣) تزوجها الخواجا جمال الدين محمد بن مهدي الطائي ، وماتت في شهر شعبان سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م ، بمكة المكرمة ، وصلي عليها صبح يومها ودفنت بالمعلاة بتربة أهلها . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٣٩٩-١٤٠٠ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٤ .

(٤) هو الخواجا جمال الدين محمد بن مهدي الطائي، صهر الخواجا جمال الدين محمد بن حسن الطاهر، مات بمكة المكرمة في ربيع الأول سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م .السخاوي ، الضوء اللامع، ج١٠، ص٥٣؛ العز ابن فهد، بلوغ القرى، ج١، ص١٣٨.

(٥) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص ١٣٩٩ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص ٤ .

(٦) هو الخواجا شمس الدين محمد بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي ، ويعرف بابن القاري ، ولد بدمشق ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم ، ثم تعانى التجارة ومهر فيها كأسرته ، ثم ترقى بعد ذلك حتى أصبح مشد جدة ، توفي بجدة في شهر ربيع الأول سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص٨٨ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣، ص١٨٣٤ ؛ ابن الحمصي ، أحمد بن محمد ، حوادث الزمان ووفيات =

الطاهر في شهر شعبان من السنة المذكورة[١]، ثم حدث بينهما خلاف فأشهدت قبل وفاتها أن جميع ما تملكه يكون لأبيها حتى تحرم زوجها من الميراث، وكانت وفاتها في شهر شعبان سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[٢].

كما حدثت مصاهرات أخرى لهذه الأسرة مع بعض الأعيان في الدولة، فقد تزوج القاضي بهاء الدين أحمد بن محمد بن أبي السعود بن ظهيرة[٣]، في شهر شعبان سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م، من صفية بنت الخواجا محمد بن حسن الطاهر[٤]، وكانت قبله عند يحيى الحوراني[٥]، ثم طلقها بعد ذلك وتزوجت غيره[١]، وتزوج كذلك بدر الدين على الجنيدب[٢]، بابنة محمد بن حسن الطاهر[٣].

=

الشيوخ والأقران ، تحقيق : عبد العزيز فياض حرفوش ، بيروت ، دار النفائس ،ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٤٨٤ .

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٤٧ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٢٢٤-٢٢٥ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٤٧ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص٢٩٤.

(٣) هو أبو المحاسن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن ظهيرة ، ولد بمكة المكرمة في سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م ، ونشأ في كنف والده فحفظ القرآن الكريم ، ورد ذكره في حوادث سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ، وحوادث سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م ، ولم تحدد المصادر المتاحة تاريخ وفاته بدقة . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢، ص٦٨ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص٧٩٣ ،ج٣ ، ص١٥٩٦ .

(٤) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٥٧٤ .

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن عمر بن محمد الحوراني ، ولد بحماة سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م ، ونشأ بها وقرأ القرآن الكريم واشتغل قليلا بالفقه والعربية ،وكان لدية قابلية وفهم وذكاء ، وسمع بعض الكتب في الحديث وغيره ، ثم اشتغل بالتجارة وجاور بمكة المكرمة ، وسافر من أجل التجارة إلى عدد من البلدان ، لم تؤرخ المصادر المتاحة تاريخ وفاته ، وأشارت بأنه كان حيا في جمادى الآخرة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص٢٣٨ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ،ج٢ ، ص١١٤١ .

مشاركاتهم في المناسبات الاجتماعية : كانت علاقة هذه الأسرة مع أعيان أهل مكة المكرمة يسودها المحبة والتقدير والاحترام ، ولهم حضور ومشاركات في كل المناسبات الاجتماعية ، سوا كانت خاصة أو عامة ، ونادرا ما تقام مناسبة دون أن يشاركوا فيها ، وذلك لمكانتهم الرفيعة بين فئات المجتمع ، فقد شاركت هذه الأسرة في كثير من المناسبات الاجتماعية في تلك الفترة ، وذلك باعتبارهم طبقة مهمة من طبقات المجتمع المكي(٤) .

ومن أبرز المناسبات التي شاركت فيها هذه الأسرة مناسبات الأفراح التي كان يتم فيها دعوتهم لحضور هذه المناسبة ، وقد حضر بعض من هذه الأسرة في مناسبات متعددة ، وكان يعد لهم مسبقا مكان مخصوص يجلسون عليه من قبل أهل العروسين للجلوس عليه احتفاء بهذه المناسبة ، تعكس مكانتهم الاجتماعية ، وكانوا يقدمون بعض الهدايا النقدية والعينية كمساعدة لأهل العريسين(٥) ، ولم يقتصروا على ذلك فقط ، بل تدخلوا أيضا في حل بعض الخلافات التي كانت تقع بين التجار مع

=

(١) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٥٩٦ .

(٢) هو النوري بدر الدين علي الجنيدب ، كان واليا على مكة المكرمة ، وله كثير من المشاركات في الأحداث السياسية التي ذكرها جار الله ابن فهد ، كان آخرها في حوادث سنة شهر ذي الحجة سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٩م ، ولم يؤرخ وفاته .

جار الله ابن فهد ، نيل المنى ، ص ٦٩ ، ٢٠١ ، ٤٣٥ ، ٥٤٤ ، ٧٨٠ .

(٣) جار الله ابن فهد ، نيل المنى ، ص٤٣٥ .

(٤) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص ٧٢٠-٧٢٢ ، ٧٢٥ ، ١١٨٣.

(٥) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢ ، ص ٦٧٦-٦٧٧ ، ٧٢٠-٧٢٢ ، ٧٢٥ ، ١٠٧٧-١٠٧٨ ، ١١٨٣.

بعضهم، أو بين بعض القضاة وأشراف مكة المكرمة من ذلك ما وقع في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م، عندما حدث خلاف بين أمير مكة المكرمة أبو القاسم بن حسن بن عجلان[١]، والقاضي جلال الدين أبي السعادات ابن ظهيرة [٢]، وذلك بسبب بعض الواشين فيما بينهما، فأمر الشريف القاضي الخروج من مكة المكرمة فامتثل أمره، فتدخل الخواجا بدر الدين حسن بن محمد الطاهر لحل هذا الخلاف، وطلب من القاضي عدم السفر حتى يتوجه إلى الشريف ويعرف السبب، فتوجه إليه مع جمع من الأعيان، وكان نازلا بالحشافة القريبة من جدة، وأحضروا القاضي إلى مكان الشريف، وتمكنوا من الصلح فيما بينهما، ورحب الشريف بالقاضي وأعطاه خلعة قيمة، وأكرمهم غاية الإكرام، وقدم لهم وليمة بهذه المناسبة، وأعان القاضي بمال عن

(١) هو الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان الحسني، ولي إمرة مكة المكرمة بعد عزل أخيه بركات بن حسن بن عجلان سنة٨٤٦هـ/١٤٤٢م، فأحسن في إمارته وقام ببعض الأعمال الحسنة بمكة المكرمة، توفي بالقاهرة مطعونا بعد عزله في سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م .النجم ابن فهد، الدر الكمين ،ج٢، ص١٣٢٩-١٣٣٢ ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص١٣٤ ؛ العز ابن فهد، غاية المرام، ج٢، ص٤٩٨-٥٠٢ .

(٢) هو الفقيه محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة، اجتهد في طلب العلم وتحصيله منذ الصغر، وحضر دروسا في الفقه والحديث والقراءات، وأجاز له كثير من الشيوخ البارزين في عصره وأذنوا له بالإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى وتصدى لإفادة الطلبة بعد أن تفقه وبرع في كثير من العلوم حتى صار شيخ البلاد المكية، وأحفظ الناس لفروع المذهب الشافعي والمشار إليه، وكانت له مشاركة في التأليف في الفقه وغيره من العلوم، وتقلد عددا من الوظائف العلمية والدينية، توفي بمكة المكرمة في شهر صفر سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م . النجم ابن فهد، الدر الكمين ،ج١، ص٣٣٥-٣٤١ ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٢١٤-٢١٦ .

الخسارة التي تكبدها من السفر، ثم عاد التجار إلى جدة بعد الصلح الذي تم بين الشريف والقاضي المذكور[١].

مشاركاتهم في العمل الخيري: قدمت أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر أنواعا متعددة من أعمال البر والخير في مكة المكرمة، وأسهموا في بناء الأربطة[٢]، والسبل[٣]، لأهالي مكة المكرمة والمجاورين فيها حتى يخففوا عليهم من بعض معاناتهم ، وخاصة الفقراء والمحتاجين، ومن أعمال البر والخير التي قدمتها هذه الأسرة لأهالي مكة المكرمة والمجاورين فيها، ما قدمه بدر الدين حسن بن محمد الطاهر مؤسس هذه الأسرة الذي كان له مآثر كثيرة في مكة المكرمة، وأصبح مضرب المثل من بين التجار، وأسهم بأوقاف متعددة في أكثر من مكان في مكة المكرمة، منها رباطه الذي بناه في مكان رباط ابن مندة[٤]، أوقفه في سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، وذلك بعد استئجاره

---

(١) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٢) الأربطة:جمع ، مفردها رباط ،كانت مهمته في بداية الأمر الدفاع عن الأراضي الإسلامية المتاخمة للعدو ، وهي عبارة عن حصن منيع يعسكر فيه المتطوعون في سبيل الله تعالى ، ثم تحولت وظيفته بعد ذلك وأصبح مسكنا للفقراء والمساكين وغيرهم ، وظهرت العديد من الأربطة لهذا الغرض .ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٣٠٢-٣٠٣ ؛ شافعي ، الأربطة في مكة المكرمة ، ص١٣ ،

(٣) السبل:جمع ، ومفرده سبيل ، وهو عبارة عن منشأة مائية أقيمت لتزويد عابري السبيل بالمياه ، وقد عرفته الأمم منذ القدم ، وظهر بصفة أكثر عند المسلمين في معظم المدن الإسلامية ، وأنشأ عدد من المحسنين الأسبلة ووفروا فيها المياه المعدة للشرب طوال العام بغية الأجر والثواب من الله عز وجل . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٣١٩-٣٢١ ؛ الحسيني ، محمود حامد ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٩ .

(٤) هو الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى الأصبهاني ، رحل في طلب العلم وطاف كثيرا من البلاد ، وجمع من الكتب ما لا يحصى ، وله مؤلفات كثيرة ، منها : معرفة الصحابة ، والكنى ، والتاريخ ، والإيمان ، والتوحيد والصفات ، وغير ذلك ، توفي في شهر ذي القعدة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م . الذهبي ، محمد بن =

من القاضي عبد القادر بن أحمد الأنصاري (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م)[١]، وكانت مدة الإيجار(٩٥)سنة، و(١٠)أشهر، و(٢٠)يوما، وكان هذا الرباط يقع بجوار المسجد الحرام، عند باب سويقة[٢]، أحد أبواب المسجد الحرام، وكان على يمين الداخل من باب الرباط دار كبيرة عرفت بالعزلة[٣]، ودكان ومخزنين، أوقفها في السنة

=

أحمد ، العبر في خبر من عبر ، تحقيق : بسيوني زغلول ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج٢ ، ص١٨٧ ؛ ابن الجزري ، محمد بن محمد ،غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره : براجستراسر، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ج٢ ، ص٩٨-٩٩ ؛ شافعي ، الأربطة في مكة المكرمة ، ص٣٨-٤١ .

(١) هو أبو المفاخر عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد الأنصاري ، ولد بمكة سنة ٨١٤هـ/١٤١١م ، ونشأ فيها ، وطلب العلم ولازم كثيرا من العلماء وأخذ عنهم وأجازوه في كثير من العلوم ، وأذنوا له بالإفتاء والتدريس ، ووصف بالعلم والصلاح والعبادة ، والفصاحة والذكاء ،وصنف عددا من المصنفات في النحو وغيره ، وتولى القضاء في مكة المكرمة ، توفي في شهر شعبان سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م . النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢، ص٨٦١-٨٦٦ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٢٨٣.

(٢) باب سويقة:كان هذا الباب يطل قديما على باب دار الندوة ، ويفتح مباشرة على المسجد الحرام ، في الجهة الشمالية منه بين دور الخزاعيين ، وقد ورد ذكره بعدة مسميات ، فذكر باسم باب دار الندوة ، وباب زيادة دار الندوة ، وباب الزيادة ، وباب سويقة . الأزرقي ، أخبار مكة، ج٢ ، ص٧٧، ٩٣ ،١١٣ ؛ النجم ابن ، إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٥١-٣٥٢ ،ج٣ ، ص٦٣٧ ، ج٤ ، ص١٥١-١٥٢ ؛ عمارة ، طه عبد القادر ، أبواب المسجد الحرام في العصر الأيوبي والعصر المملوكي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد (٨) ، يوليو ، ٢٠٠٠م ، ص٦٨٣-٦٨٤ .

(٣) العزلة:بالضم من الاعتزال والانفراد ، مفرد ، وجمعها عزل ، وهي البيت الصغير ، والبيت الكبير يتكون من عدة عزل ، والعزلة إن كان مالكها واحدا تسمى دار أو بيتا .ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٤٤٠-٤٤١ ؛ مكاوي ، المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة ، ص٢٣٥ .

المذكورة، وأوقف منافعها على مصالح هذا الرباط[١]، واشترط في رباطه أن يكون على الفقراء والمساكين الغرباء المنقطعين الرجال دون النساء الذين لا سكن لهم، ولا يقدرون على أجرة مسكن لهم، وليس لأحدهم بيت في رباط آخر، وألا يسكن فيه أمرد، ويقيمون فيه قوما بعد قوم[٢]، وجعل نظر الرباط لولده عمر بن حسن بن محمد الطاهر منفردا، ثم بعد ذلك للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور والإناث من ولد الظهر دون البطن، فإن تعذر ذلك كان النظر في ذلك للأعلم الأصلح من أهل الحرم المكي الشريف، وتم إثبات ذلك عند القاضي المذكور سابقا في يوم الأربعاء التاسع من شهر رجب سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م[٣].

يتضح من خلال نص الوقفية التي وضعها مؤسس هذا الرباط وجود تنظيم دقيق سواء في الإدارة أو الفئات المستفيدة من السكن في هذا الرباط، ووضع شروطا لذلك، وكيفية الإنفاق عليه، حيث خصص له منافع داره يستفيد منها حتى تؤدي دوره على أكمل وجه، وهذه الشروط تدل على درجة عالية من التنظيم الإداري الجيد لهذا الرباط.

كما أسهم ابنه محمد بن حسن الطاهر(ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، وسار على نهج والده واقتفى سيرته، فشارك ببعض الأعمال الخيرية في هذا الرباط، فخصص(٢٣)خلوة لقراءة القرآن الكريم وتلاوته في كل يوم، وعدد من

(١) النجم ابن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص١٥٢.

(٢) النجم ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص١٥٢.

(٣) النجم ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص١٥٤؛شافعي ،الأربطة في مكة المكرمة ،ص٣٨-٤٠.

روايا[١]، الماء تسبل للناس في كل يوم، وسبعة أرطال[٢]، من السليط[٣]، في كل شهر تستخدم لإضاءة الرباط وإنارته ، سوى ما يصرف للخادم[٤]، والبواب[٥]، وغيرهما في

(١) روايا:جمع مفردها راوية ، هو الوعاء الذي يكون فيه الماء ، وسميت المزادة راوية ، وذلك لأنه يستقى بها الماء ، وهي عبارة عن إناء مصنوع من الجلد تسمى القربة ، وقيل الراوية هي البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء ، والرجل المستقي أيضا يسمى راوية . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) أرطال:جمع ، مفردها رطل ، وهو اسم مذكر ، وكسره أشهر من فتحه ، وهو معيار يوزن به ، وتقديره بالعرف لا بالوضع ، وقد تعددت أنواعه واختلفت من بلد لآخر، والذي عليه الجمهور أنه يزن (١٢٨) درهما وأربعة أسباع الدرهم ، وهذا في الرطل البغدادي الذي يساوي (٩٠) مثقالا ، ويقدر وزنه بالجرامات نحو (٤٠٨) جراما .الفيومي ، المصباح المنير ،ص١٢١ ؛ الخزاعي ، علي بن محمد ، تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٦١٥-٦١٦ ؛ الشرفي ، النشاط التجاري في اليمن ، ص٤٨٦-٤٨٧ .

(٣) سليط:هو عصارة زيت السمسم الذي يعرف في بلاد اليمن (بالجلجلان) ، وهو من المحاصيل الزراعية المهمة ، ويزرع بكثرة في تهامة والمناطق الدافئة في المرتفعات . الأشرف الرسولي ، عمر بن يوسف ، ملح الملاحة في معرفة الفلاحة ، تحقيق :عبدالله محمد المجاهد ، دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص٢٢٢ ؛ أحمد ، علي بن علي ، أعمال السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي في مكة المكرمة ، مجلة العلوم العربية والإنسانية ، جامعة القصيم ، المجلد (١٠) ، العدد (٤) ، شوال ١٤٣٨هـ/يونيو ٢٠١٧م ، ص٢١١٨ .

(٤) الخادم:مفرد ، وجمعه خدام ، وهو من يقوم بالخدمة سواء كان غلاما أو جارية ، وكان الخادم في العصور الإسلامية إما أن يكون عبدا رقيقا أو عبدا خصيا أو جارية ، واتخاذ الخدم من التقاليد والعادات المعروفة قبل ظهور الإسلام ، وأكثر أثرياء المسلمين اتخذوا لهم خدما يقومون بخدمتهم في كثير من الأعمال . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص١٦٦-١٦٧ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية ، ج١ ، ص٤٣٣ .

(٥) البواب:ظهرت هذه الوظيفة في كثير من المؤسسات التعليمية خلال العصر المملوكي ، ومهمته هي الإشراف على المدرسة أو الرباط ،ومعرفة الداخل والخارج منها ، من أجل المحافظة على ما فيها من متاع ، ومنع غير المرغوب فيهم من الدخول ، وأن يبيت بقرب الباب حتى يسمع من يطرقه ليفتح له إن كان =

الشهر والسنة ، وكان يحسن إلى سكان الرباط ويشفق عليهم كثرا ، ويقوم بكسوتهم الملابس والقمصان ، ويقدم لهم الطعام والشراب ، ويتفقدهم في طول السنة [١] .

ومن الذين تولوا النظر على هذا الرباط عمر بن محمد بن حسن الطاهر(ت٨٦٨هـ/١٤٦٣ م) ، وكان أول من ولي نظر هذا الرباط كما صرح بذلك موقفه في نص الوقفية[٢] ، وكذلك محمد بن حسن الطاهر(ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، ولي نظره بعد وفاة أخيه عمر الذي اهتم بأمر الرباط ، وخصص له أوقافا سخية تقدم للنزلاء فيه حتى تؤدي دورها على أكمل وجه ويستفيد النزلاء من هذه الأوقاف[٣] .

ومن الذين سكنوا في هذا الرباط واستفادوا من خدماته الفقيه أحمد بن حسين الشغدري (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ، قدم مكة المكرمة قبيل سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، ولازم المقرئ أحمد بن علي الشوائطي وجود عليه القرآن الكريم ، وقرأ عليه في علم القراءات حتى جودها ، وتفقه به واستفاد منه كثيرا ، وكان خيرا صالحا عالما متفننا ، آية في الذكاء ، حسن المذاكرة ، متعففا عن الناس ومحببا إليهم ، وله معرفة بوزن الشعر وينظمه أحيانا ، أقام سنة بالمسجد الحرام لا يأوي إلى رباط ولا غيره ، ثم سكن في هذا

=

من سكان المدرسة أو الرباط ، في أي وقت جاء من أوقات الليل . السبكي ، عبد الوهاب بن علي ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق : محمد علي النجار ، وآخرين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١٣٥ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية ، ج٢ ، ص٨٩٨-٨٩٩ .

(١) السخاوي ، الذيل التام ،ج٣ ، ص١٩٨ .

(٢) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٥٤ ؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص٨٠ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٣٣ ؛ السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص١٩٨.

الرباط[١]، وسكن في هذا الرباط أيضا محمد الهروي(ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، كان مجاورا فيه حتى وفاته[٢]، وكذلك محمد الحقيقي(ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، كان مباركا فاضلا يلازم الجماعة بالمسجد الحرام، وسكن في هذا الرباط حتى وفاته[٣]، وسكن فيه أيضا الفقيه عبدالله الحرازي[٤]، وكذلك الفقيه الصالح أحمد التعزي[٥].

ولم يقتصر بدر الدين حسن بن محمد الطاهر على بناء الأربطة والإنفاق عليها فقط، بل أسهم أيضا في بناء بعض السبل من أجل توفير المياه للحجاج والمعتمرين وغيرهم، وذلك لقلة المياه التي كانت تشكو منها مكة المكرمة، وخاصة في أيام الحج والعمرة حيث ازدحمت بالحجاج والمعتمرين من شتى الأقطار، فقام بإنشاء سبيل في داره بمنى، وذلك من أجل توفير المياه للحجاج في موسم الحج حتى يستفيدوا منه ويخفف عنهم حدة الحاجة إلى الماء في أيام الحج، وقد أنشأه في سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م[٦]، وقام أيضا بتقديم العديد من أعمال البر والصدقات النقدية والعينية التي كانت توزع إلى أهالي الحرمين الشريفين في كل عام[٧]، وكانت داره أيضا

---

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٤٤٥-٤٤٦ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٢) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٤٢٧ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٢٦ .

(٣) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٤٢٢ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص ١٢٠.

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٤٤٦ ؛ شافعي ، الأربطة في مكة المكرمة ، ص١٦٩ .

(٥) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٤٤٦.

(٦) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٦٣ ، الدر الكمين ، ج١، ص ٦٩٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣، ص١٢٧.

(٧) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص ٦٩٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٢٧.

أيضا مقصدا للناس من أصحاب ذوي الحاجات والمعوزين، فيقوم بإطعامهم وإكرامهم في داره ويقضي لهم حاجاتهم [١].

وعمر أيضا أماكن كثيرة من عين حنين[٢]، حتى يعم نفعها لأهالي مكة المكرمة ، فقد عمرها في سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، حتى يستفيد الأهالي منها وتخفف عنهم شدة الحاجة إلى الماء وانتفع فيها كثير من الناس[٣].

وعين عددا من عتقائه الذين أعتقهم حتى يتولون خدمة المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وظلوا على هذا العمل حتى وفاتهم[٤]، ولم يقتصر على ذلك بل كانت له أعمال أخرى حسنة في مكة المكرمة ، استفاد منها الأهالي والمجاورين، فجدد

(١) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٠٢٧ ؛ القيسي ، تجار الحجاز ، ص١٨٦ .

(٢) عين حنين:وتعرف أيضا بعين بازان ، وعين زبيدة ، وكانت مياهها تصب بأسفل جبل طاد من الناحية الشمالية الغربية ، على بعد (٣٦) كم تقريبا ، أجرتها أم جعفر زبيدة زوج هارون الرشيد ، وهي تنبع من وادي نعمان ثم تمر في عرفات وتقطع وادي عرنة ، ثم تنحدر إلى منى حتى تصل إلى مكة المكرمة ، وقد عمرت أكثر من مرة وجرى إصلاحها وترميمها . الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٠٦، ١٥٥ ، ٢٢٢ ،ج٢ ، ص٢٢٢ ،٢٣١ ،٣٢٧ ؛ الأنصاري ، حنيف الدين بن محمد ، رسالة في عمارة العينين ، عين نعمان وعين حنين ، تحقيق : ناصر بن علي الحارثي ، الطائف ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٢٢ ،٢٥-٢٧ .

(٣) النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ١٩٧ ، ٢٤٤، الدر الكمين ، ج١، ص٦٩٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣، ص١٣٧.

(٤) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١، ص١٢٤-١٢٥ .

الميضأة[١]، المنسوبة إلى طيبغا الطويل[٢]، التي كانت موجودة بباب العمرة[٣]، حتى يستفيد منها الناس في الوضوء عند أداء الصلاة[٤].

وكذلك أسهمت هذه الأسرة بشكل واضح في أعمال الخير والبر التي استفاد منها سكان مكة المكرمة، وقد أشارت المصادر التاريخية بذكر صور من التلاحم من هذه الأسرة مع أهالي مكة المكرمة، فقد اهتموا بالفقراء والمحتاجين وطلبة العلم فأعطوهم

---

(١) الميضأة:هي المطهرة ، مفرد ، وجمعها مطاهر ، وهي البيت أو المكان أو الإناء الذي يتطهر فيه ، والميضأة عبارة عن مطهرة كبيرة يتوضأ منها ، وهي مكان يخصص بجوار المسجد وأماكن الصلاة ، ويتوفر فيها الماء من أجل تجديد الوضوء ، ولها مراحيض وأحواض للتطهر والوضوء ، وبأرضيته بالوعات مستديرة صغيرة لتصريف المياه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٥٠٦ ؛ أمين ، محمد محمد ، إبراهيم ، ليلى علي ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، القاهرة ، الجامعة الأمريكية ، ط١ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص١١٨ .

(٢) هو طيبغا بن عبد الله المعروف بالطويل ،كان أحد الأمراء الكبار في دولة الناصر حسن ، وكان شريكا للأمير يلبغا الخاصكي ، فحصل بينهما نزاع ، فتغلب يلبغا عليه واعتقله في الإسكندرية ، ثم أطلق من سجنه وتولى نيابة حماة ثم حلب ، حج في سنة٧٦٣هـ/١٣٦١م ، وقام ببعض الأعمال الخيرية في مكة المكرمة ، توفي بمدينة حلب سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م .الفاسي ، محمد بن أحمد ،العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،ط٢ ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج٥ ، ص٧٥-٧٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، أم القرى (د.ت) ، ج٢ ، ص٣٣٢ .

(٣) باب العمرة:كان هذا الباب يعرف قديما بباب بني سهم ، ثم عرف في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي بباب العمرة ، واستمر على هذا الاسم خلال العصر المملوكي ، وله مسميات أخرى مثل : باب مكة ، وباب الشبيكة ، وباب جدة . الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص٧٧ ،٨٢-٨٣ ، ١٢٨ ؛ النجم ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٤٩-١٥٠ ؛ عمارة ، أبواب المسجد الحرام ، ص ٦٧٥-٦٧٦ .

(٤) النجم ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٩٤ .

مرتبات شهرية، ومدوا يد العون والمساعدة لأهاليها ، وأشاروا في بعض وصاياهم بأن تفرق بعض أموالهم على فقراء الحرمين الشريفين، وقد أسهمت بعض هذه الصدقات والهبات في التخفيف عنهم مما أصابهم في بعض الأوقات من بعض الأزمات التي كانوا يتعرضون لها، ولقد ذكرت المصادر التاريخية بعض الجوانب الإنسانية التي قاموا بها، فقد أوصى الخواجا جمال الدين محمد بن حسن الطاهر، بخمسمائة دينار لأهل مكة وبمثلها لأهل المدينة [١] .

واهتم أيضا بأهل العلم من العلماء والطلبة في مكة المكرمة ، فكان مشفقا بالمقرئ علي بن علي الحمصي(ت ٩١٨هـ/١٤١٢م)[٢] ، وكان يقدم له الطعام ويرسله إلى بيته لأنه لم يكن له أولاد يهتمون بخدمته [٣] ، وخصص أيضا عددا من القراء في المسجد الحرام يقرؤون القرآن الكريم وجعل لهم رزقا معلوما ، وجعل في داره بمكة المكرمة سبيلا عظيما يستقي منه الناس ابتغاء وجه الله تعالى، وله بجدة أيضا سبيل فيه صهريج كبير يسبل فيه الماء لوجه الله تعالى، وله غير ذلك من الأعمال الخيرية الحسنة في مكة المكرمة استفاد منها السكان والمجاورين على حد سواء [٤] .

وكانت لهذه الأسرة أيادي بيضاء وآثار ملموسة على المجتمع المكي خلال فترة الدراسة، ولهم دور بارز في مواجهة آثار بعض الكوارث الطبيعية التي وقعت في مكة

---

(١) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٢، ص٨٠٩-٨١٠ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد الحميدي الحمصي ، برز في علم القراءات ، وطلب العلم وقرأ على بعض علماء عصره ، ثم جاور بمكة المكرمة ومات بها في سنة ٩١٨هـ/١٤١٢م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٥ ، ص٢٦٢ ؛ العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٨٢٧ .

(٣) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج٣ ، ص١٨٢٧ .

(٤) السخاوي ، الذيل التام ، ج٣ ، ص١٩٧-١٩٨ .

المكرمة ، فسارعوا بتقديم الخدمات للمسجد الحرام عند حدوث الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة التي حدثت في مكة المكرمة وأدت إلى أضرار كبيرة في مرافق المسجد الحرام ، وأسهموا في الحد منها وخاصة عند نزول الأمطار الغزيرة ، حيث كانوا يأتون بالعمال والعبيد من أجل تنظيف المسجد الحرام وإخراج الأتربة والأوساخ من داخله على نفقتهم الخاصة ، وأبرز مثال على ذلك ما قامت به هذه الأسرة في خدمة المسجد الحرام ، ما حدث في الثالث عشر من شوال والذي يليه من سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ، حيث حضر جماعة من أعيان مكة المكرمة ، وكان معهم جمال الدين محمد بن حسن الطاهر ، وكشفوا على أماكن بالرواق[١] ، الأوسط من الناحية الغربية للمسجد الحرام ، واتفقوا على إصلاح بعض الأخشاب التي كانت مكسورة فيه ، ولم يقتصروا على ذلك بل قاموا أيضا بإصلاح أماكن أخرى من سقف أروقة المسجد الحرام التي كان ينزف منها الماء عند نزول المطر ، فقاموا بإصلاحها واستبدالها بأخشاب جديدة بدل التي كسرت ، وعملوا أيضا فوقها النورة[٢] ، واستغرق منهم هذا العمل نحو أسبوع[٣].

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، دخلت الأمطار الغزيرة المسجد الحرام وأثرت على كثير من مرافقه ، فأتلفت قبة

(١) الرواق:مفرد ، وجمعه أروقة ، وهو عبارة عن سقف في مقدم البيت أو الجناح ، والقسم من المسجد أو الجامع ، ويشتمل على مجموعة من الغرف تكون سكنا للمدرسين والطلبة ، بالإضافة إلى قاعة كبيرة يلتف طلبة العلم حول شيخهم في حلقة دراسية . ابن منظور، لسان العرب ، ج١ ، ص١٣٢ ؛ نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية ، ص٨٤ .

(٢) النورة:هي الجير الذي لم يوضع عليه الماء ويعرف بالجير الحي ، وتضاف النورة إلى الملاط ومواد الطلاء ، وتستخرج من حجر يسمى الخشرم ، ولها استعمالات أخرى . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص١٠٠ ، ج١٤ ، ص ٣٨١ ؛ نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية ، ص١٨٣ .

(٣) العز ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١، ص٩٨-١٠١ .

الفراشين[١]، والسقائين[٢]، ومخزن المسجد الحرام ، وأضرت أيضا بقناديل[٣]، المسجد الحرام وكسر بعضها، وسرب أوساخا كثيرة في المسجد الحرام، وهدمت كثير من البيوت والمنازل ومات تحتها خلق كثير، وذلك بعد دخول الأمطار من أكثر أبوابه إلا القليل منها، فكان لهذه الأسرة موقف مشرف من هذه الحادثة فبادروا في الإسهام بإزالة آثار السيول، وتطوع كثير منهم بتنظيف الكعبة المشرفة، وقاموا بتنظيف المطاف، وأحضروا عمالهم وعبيدهم من أجل تنظيف المسجد الحرام وإزالة الأتربة والأوساخ منه، وكان من الذين شاركوا من هذه الأسرة محمد بن حسن الطاهر، وأخوه علي بن حسن

---

(١) الفراش:مفرد ، وجمعه فراشون ، مأخوذ من الفعل فرش ن وهو بسط الفراش ، والفراش هو الذي يقوم بخدمة الفرش وما يتعلق به في الحرمين الشريفين وغيرها ، ثم اتسعت مهامه فشملت إخراج الشمع في كل ليلة وتعمير القناديل وإخراج الزيت من الحاصل وفتح أبواب المسجد وغير ذلك من الأعمال . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص١٥٥ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية ، ج٢ ، ص٨٠٣-٨٠٥ ؛ السابح ، ريم بنت فهد ، الموظفون في المسجد النبوي الشريف وأثرهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ، المدينة المنورة ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ، ص٢١٥ .

(٢) السقاء:مفرد ، وجمعه سقاؤون ، وهم الذين يقومون بتوفير الماء في المواسم وغيرها ، وهي من الوظائف القديمة في الحرمين الشريفين ، وكانت مهمة من يشغلها تزويد الحرمين الشريفين بالماء الصالح للشرب . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٢١٢ ؛ السابح ، الموظفون في المسجد النبوي ، ص٢٢٥ .

(٣) القناديل:جمع ، مفردها قنديل ، وهو معرب ، معناه الشمعة التي يستضاء بها ، وهو أصغر من الثريا ، وهو مصباح كالكوب في وسطه فتيل يملأ بالماء والزيت من أجل الاشتعال . الجواليقي ، موهوب بن أحمد ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق : فؤاد عبد الرحيم ، دمشق ، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص٥٨ ؛ إبراهيم ، رجب عبد الجواد ، ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري ، دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ص٣١٤ ؛ الربعي ، صالح بن محمد ، الإضاءة في الحرمين الشريفين منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي ، الرياض ، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود لدراسات تاريخ مكة المكرمة ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م ، ص١١٧-١١٩ .

الطاهر، وصهرهما محمد القاري، حيث قاموا بإحضار مجموعة كبيرة من عبيدهم من أجل تنظيف المسجد الحرام، واقتدى بهم معظم التجار وساروا على نهجهم في ذلك[١]، وبعد وفاتهم كثر الترحم عليهم بسبب اهتمامهم في الخد من ذلك السيل بأنفسهم وأموالهم وأتباعهم بل واقتدى بهم خلق كثير من التجار وغيرهم[٢].

يتضح مما سبق أن هذه الأسرة شاركت في كثير من الأعمال الخيرية في مكة المكرمة سواء في بناء الأربطة أو السبل، أو الإنفاق على طلبة العلم والعلماء والفقراء والمحتاجين، ليس هذا فحسب بل قدموا أيضا بعض الأعمال الحسنة في المسجد الحرام وأنفقوا عليه بسخاء، بل وعملوا بأنفسهم في خدمته، ولهم غير ذلك من الأعمال التي سجلتها كتب التاريخ.

(١) السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٣٥٥-٣٥٦؛ العز ابن فهد، بلوغ القرى، ج١، ص٢٣١-٢٣٩.

(٢) السخاوي، الذيل التام، ج٣، ص٢٢٨.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج لعل من أبرزها ما يلي :

وضحت الدراسة أن أسرة بدر الدين حسن بن محمد الطاهر تعد من إحدى الأسر اليمنية المجاورة التي استقرت في مكة المكرمة ، وأنجبت عددا من الأبناء والأحفاد ، وأصبح لها مكانة مرموقة في المجتمع المكي ، وكان لها دور حضاري في كثير من المجالات ، وقدمت خدمات جليلة لأهالي مكة المكرمة طيلة إقامتها خلال فترة الدراسة .

بينت الدراسة اهتمام هذه الأسرة بتعليم أبنائهم ونالوا قسطا من التعليم ، وشجعوا أبناءهم على العمل في مجال التجارة التي حققوا منها مكاسب وفيرة .

كشفت هذه الدراسة امتلاك عدد من هذه الأسرة كثيرا من الممتلكات من الدور والعقارات ، وكونوا ثروات كبيرة من خلال ممارستهم للتجارة .

أبرزت هذه الدراسة علاقة هذه الأسرة بسلاطين المماليك في مصر وكبار الدولة فيها ، وكونوا علاقات قوية مع السلطة المركزية في مصر ، ونالوا منهم كل تقدير واحترام ، يعكس العلاقة القوية فيما بينهم ، فضلا عن علاقتهم القوية بأشراف مكة المكرمة التي اتسمت بكل تقدير واحترام .

أظهرت هذه الدراسة أن علاقة هذه الأسرة مع أهل مكة المكرمة بفئاتها المتعددة كانت قوية ويسودها التقدير والاحترام ، وشاركوا أهلها في أفراحهم وأتراحهم وساد بينهم التواضع وحسن التعامل والتقدير فيما بينهم .

أوضحت الدراسة جهود أبناء هذه الأسرة في مجال العمل الخيري ، وقدموا كثيرا من المآثر الحسنة في مكة المكرمة ، واستفاد منها شريحة كبيرة من المجتمع المكي وغيرهم من الحجاج والمعتمرين .

أولا : المصادر :

[١] الأزرقي ، محمد بن عبد الله(ت نحو ٢٥٠هـ/٨٦٣م) .

[٢] أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة، دار الثقافة، ط٨، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

[٣] الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن(ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) .

[٤] طبقات الشافعية، تحقيق : عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

[٥] الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف(ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) .

[٦] ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق : عبدالله محمد المجاهد، دمشق : دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

[٧] الأنصاري، حنيف الدين بن محمد(ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م) .

[٨] رسالة في عمارة العينين، عين نعمان وعين حنين، تحقيق : ناصر بن علي الحارثي، الطائف، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

[٩] ابن إياس، محمد بن أحمد(ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) .

[١٠] بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، بيروت، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠١٠م.

[١١] ابن بطوطة،محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

[١٢] تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،المسمى:برحلة ابن بطوطة، تحقيق:علي المنتصر الكتاني،بيروت،مؤسسة الرسالة، ط٤ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

[١٣] ابن تغري بردي،يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .

[١٤] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،تحقيق:جمال الدين الشيال،وآخرين،القاهرة،دار الكتب والوثائق القومية،ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[١٥] ابن الجزري،محمد بن محمد(ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) .

[١٦] غاية النهاية في طبقات القراء،نشره:براجستراسر،بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

[١٧] الجواليقي، موهوب بن أحمد(ت ٤٥٠هـ/١١٤٥م) .

[١٨] المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق : فؤاد عبد الرحيم، دمشق، دار القلم، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

[١٩] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) .

[٢٠] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، القاهرة، أم القرى(د.ت) .

[٢١] ابن الحمصي،أحمد بن محمد(ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م) .

[٢٢] حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران،تحقيق:عبد العزيز فياض حرفوش،بيروت، دار النفائس،ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

[٢٣] الحموي، ياقوت بن عبدالله(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

[٢٤] معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

[٢٥] الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) .

[٢٦] الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط١٤٠٤ ، ٢هـ/١٩٨٤م.

[٢٧] الخزاعي، علي بن محمد(ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) .

[٢٨] تخريج الدلالات السمعية، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

[٢٩] الذهبي،محمد بن أحمد(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
[٣٠] العبر في خبر من عبر،تحقيق:بسيوني زغلول،بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
[٣١] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي(ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) .
[٣٢] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .
[٣٣] السبكي، عبد الوهاب بن علي(ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) .
[٣٤] معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، وآخرين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
[٣٥] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .
[٣٦] التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
[٣٧] الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت، دار ابن العماد، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
[٣٨] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،بيروت،دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
[٣٩] السلمي، عرام بن الأصبغ(ت بعد٢١٧هـ/٨٣٢م) .
[٤٠] أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق: محمد صالح شناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
[٤١] ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل(ت٩٢٠هـ/١٥١٤م) .

[٤٢] الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

[٤٣] نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

[٤٤] أبو شامة الدمشقي، عبد الرحمن بن إسماعيل(ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م).

[٤٥] الذيل على الروضتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

[٤٦] الفاسي،محمد بن أحمد(ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م).

[٤٧] تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام،تحقيق:محمود خضير العيساوي،بغداد،ديوان الوقف السني،دائرة البحوث والدراسات،ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

[٤٨] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

[٤٩] ابن فهد، جار الله محمد عبد العزيز(ت ٩٤٥هـ/١٥٤٧م).

[٥٠] نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، جدة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١٤٢٠، ١هـ/٢٠٠٠م.

[٥١] ابن فهد، العز عبد العزيز بن عمر(ت٩٢٢هـ/١٥١٦م).

[٥٢] بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، وآخرين ، القاهرة، دار القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

[٥٣] غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١٤٠٦، ١هـ/١٩٨٦م.

[٥٤] ابن فهد، النجم عمر بن محمد(ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) .

[٥٥] إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، عبد الكريم باز، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤- ١٤٠٩هـ/١٩٨٤- ١٩٨٩م .

[٥٦] الدر الكمين يذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

[٥٧] معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهي، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

[٥٨] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) .

[٥٩] القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

[٦٠] الفيومي، أحمد بن محمد(ت ٧٧٠هـ/١٣٦٧م) .

[٦١] المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط١٤١٨، ٢هـ/١٩٩٧م .

[٦٢] ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد(ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م) .

[٦٣] طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

[٦٤] القلقشندي،أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) .

[٦٥] صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق:محمد حسين شمس الدين،بيروت:دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

[٦٦] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

[٦٧] المسعودي، علي بن الحسين(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

[٦٨] مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،بيروت،دار الفكر،ط٥ ،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

[٦٩] ابن منظور، محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ/١٣١١م) .

[٧٠] لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

[٧١] الهمداني، الحسن بن أحمد(ت نحو ٣٦٠هـ/٩٧٠م) .

[٧٢] صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ثانيا: المراجع :

[٧٣] إبراهيم، رجب عبد الجواد . ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري، دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي، القاهرة، دار الأفاق العربية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

[٧٤] أكبر، إلهام سراج . بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية، المدينة المنورة، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م .

[٧٥] الأكوع، إسماعيل بن علي . البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٤م .

[٧٦] الألوسي، عادل محيي الدين . تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، بغداد، دار الشئون الثقافية والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

[٧٧] أمين، محمد محمد، إبراهيم ، ليلى علي . المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ط١ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

[٧٨] الباشا، حسن . الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٣٨٦هـ/١٩٩٦م .

[٧٩] البقلي، محمد قنديل . التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٨٠] البلادي، عاتق بن غيث .أودية مكة المكرمة، مكة المكرمة، دار مكة، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

[٨١] معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

[٨٢] الجابري، خالد محسن . الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، جدة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

[٨٣] جواتياين، س. د . دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

[٨٤] أبو حجر، آمنة . موسوعة المدن العربية، عمان، دار أسامة، ط١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

[٨٥] الحسيني، محمود حامد . الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

[٨٦] الخطيب، مصطفى عبد الكريم .معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

[٨٧] الربعي، صالح بن محمد . الإضاءة في الحرمين الشريفين منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، الرياض، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود لدراسات تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م .

[٨٨] الرومي، أحمد البشر . معجم المصطلحات البحرية في الكويت، الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م .

[٨٩] زناتي، أنور محمود . معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، عمان، دار زهران، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.

[٩٠] السابح، ريم بنت فهد . الموظفون في المسجد النبوي الشريف وأثرهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

[٩١] سالم، عبد العزيز . البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

[٩٢] شافعي، حسين عبد العزيز .الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، جدة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

[٩٣] الشرفي، علي بن علي حسين . النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي، القاهرة، دار إيتراك ، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م .

[٩٤] شهاب، حسن صالح . المراكب العربية تاريخها وأنواعها، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

[٩٥] ضرار، محمد صالح . تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ط١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

[٩٦] عبد المجيد، ليلى أمين . التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، جدة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

[٩٧] عمارة، محمد . قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار السلام، ط١ ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

[٩٨] فهمي، عبد الرحمن . موسوعة النقود وعلم النميات، فجر السكة العربية، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

[٩٩] فهمي، نعيم زكي . طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

[١٠٠] ماير، ل . الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم عبد الرحمن فهمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

[١٠١] محمد، آمال إبراهيم . الصراع الدولي حول البحر الأحمر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١٤١٣ ، ١هـ/١٩٩٣م .

[١٠٢] محمد، رفعت موسى . الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط١٤١٣ ، ١هـ/١٩٩٣م.

[١٠٣] المسري، حسين علي . العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، بيروت، دار الحداثة، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ .

[١٠٤] مكاوي، حسام بن عبد العزيز . المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة من خلال بعض الكتب والوثائق المكية من القرن التاسع الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م .

[١٠٥] الندوي، معين الدين . معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

[١٠٦] نوار، سامي محمد .

[١٠٧] الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المصادر اللغوية، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

ثالثا: الرسائل الجامعية :

[١٠٨] قيسي، عائشة حسن . تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

رابعا: المقالات المحكمة :

[١٠٩] أحمد، علي بن علي . أعمال السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي في مكة المكرمة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد(١٠)، العدد (٤)، شوال ١٤٣٨هـ/يونيو ٢٠١٧م .

[١١٠] شافعي، حسين عبد العزيز . الخواجا شمس الدين ابن الزمن ودوره الحضاري والعمراني في بلاد الحرمين الشريفين في عهد السلطان

قايتباي، دراسة تاريخية حضارية، القاهرة، المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، العدد(٥)، ٢٠١٠- ٢٠١١م .

[١١١] عبد المجيد، ليلى أمين . الأسبلة والمطاهر في مكة المكرمة في العصر المملوكي، مجلة الدرعية، الرياض، العددان (٣٤- ٣٥)، السنة التاسعة، جمادى الآخرة - رمضان، ١٤٢٧هـ/ يوليو- أكتوبر، ٢٠٠٦م .

[١١٢] عمارة، طه عبد القادر . أبواب المسجد الحرام في العصر الأيوبي والعصر المملوكي، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد (٨)، يوليو، ٢٠٠٠م .

Badr al-Din Hassan bin Muhammad al-Taher, a Yemeni Family, and their Cultural Impact in Makkah During the Circassian Mamluk Era (784-923 AH / 1382-1517 CE)

Dr Ali bin Ali Hussein Ahmad

Associate professor of History,College of Arabic and Social StudiesQassim University

Abstract : This study sheds light on one of the Yemeni families that settled in Makkah and neighbored the Circassian Mamluk in Egypt since the establishment of the Circassian Mamluk. This family was known as the Badr al-Din Hassan bin Mohammed al-Taher family.

This family was renowned for being one of the significant commercial families during the mentioned period. They had a number of children and grandchildren who assumed a prominent status in the society of Makkah, and built strong relations with the central authority in Egypt, represented by the sultans of the Mamluks and the senior statesmen, and the local authority in Mecca represented by the Sharifs of Makkah and senior dignitaries. They established strong ties with the various social groups, had a key cultural role in many areas, and provided grand services to the people of Makkah during their stay there.